جامعـة المنصــورة
كليـــة التربية
–

الحجة العقلية في التربية الإسلامية وتطبيقاتها في المؤسسات التعليمية

إعداد
عبد العزيز بن علي عيضة الزهراني

إشراف
د / محمد عبد الرؤوف عطية السيد

مجـــلة كلـــية التربية – جامعـــة المنصـــورة
العدد ١١٢ – أكتوبر ٢٠٢٠

الحجة العقلية في التربية الإسلامية وتطبيقاتها في المؤسسات التعليمية

عبد العزيز بن علي عيضة الزهراني

ملخص الدراسة باللغة العربية

موضوع الدراسة: الحجة العقلية في التربية الإسلامية وتطبيقاتها في المؤسسات التعليمية.

منهج الدراسة: المنهج الاستنباطي.

ومن أهداف الدراسة :

وتتمثل أهداف الدراسة في الكشف عن:

١- طبيعة العلاقة بين الحجة العقلية والحجة بالشرع في التربية الإسلامية .

٢- أسس الحجة العقلية في التربية الإسلامية .

٣- التطبيقات التربوية للحجة العقلية في المؤسسات التعليمية .

وأهم نتائج الدراسة:

١/ أن هناك تلازما وتكاملا بين الحجة العقلية والحجة بالشرع ينبثق من انقياد العقل لنصوص الوحي المطهر.

٢/ أن للحجة العقلية أسسا تبنى عليها، متى توفرت هذه الأسس كانت الحجة العقلية أقرب إلى تحقيق الهدف منها.

٣/ أن الحجة العقلية تتبع في إقناعها لأطراف الاحتجاج أساليب مقتبسة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وذلك لتصحيح الأفكار وتغيير السلوك.

وأهم توصيات الدراسة:

١- ضرورة مراعاة أسس الحجة العقلية في بناء المقررات، وإجراء الدراسات.

٢- أن توظف أساليب الحجة في عملية التعليم والتعلم بما يشمله ذلك من عناصر منظومة التعلم .

٣- الاهتمام بتنفيذ وتطبيق أسس وأساليب الحجة العقلية في المؤسسات التعليمية بدءا من رياض الطفال وانتهاء بالمراحل العليا الجامعية

الإطار العام للدراسة

مقدمة لمشكلة الدراسة :

جعل الخالق جل في علاه النفس البشرية مجالا مريعا للتفكر في عظمته سبحانه فقال عز من قائل: چٹٹٹۀچ (الذاريات: ٢١)، قال القرطبي (١٣٨٤) : "وقيل : المعنى وفي خلق أنفسكم من نطفة وعلقة ومضغة ولحم وعظم إلى نفخ الروح، وفي اختلاف الألسنة والألوان والصور، إلى غير ذلك من الآيات الباطنة والظاهرة، وحسبك بالقلوب وما ركز فيها من العقول، وما خصت به من أنواع المعاني والفنون" (ج١٧،ص٤٠)، وهذه التركيبة الإنسانية تتضمن سمة مميزة كرم الله تعالى بها بني البشر عن سواهم من المخلوقات ألا وهي العقل، وقد ورد في النص الشرعي ردٌ كثير من مجالات التفكر إلى العقل ، كما في قوله تعالى: چٱٻٻٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ(البقرة: ١٦٤).

وكما أن الدليل الشرعي النقلي ممثلا في القرآن الكريم – الذي هو كلام الله سبحانه وتعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد – وما صح من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم حجة في بيان الحق والاهتداء إلى طريقه القويم فكذلك فإن الدليل العقلي حجة في بيان ذات الحق، ولكن باختلاف سبيل البيان، واتفاق الغاية المتمثلة في الحق .

وقد ضمن الله جل وعلا في كتابه العزيز في غير ما موضع من الآيات الكريمات أنواعا وأساليب من هذه الأدلة العقلية التي توصل الحق إلى من أنكره بلا عناء، بل باقتناع يرشده إليه العقل.

وقد بدا ذلك جليا في حجاج إبراهيم عليه السلام مع النمرود في قوله تعالى: چڤڤڤ ڤ ڤ ڃ ڃ ڃ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڄ ڇ ڇ ڇ ڇ ڍ ڍ ڌ ڌ ڎ ڎ ڈ ڈ ژ ژ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ چ (البقرة: ٢٥٨) .

فإن إبراهيم عليه السلام قد استخدم مع من حاجه – وهو النمرود – أسلوبا تربويا بديعا في الإقناع هو أسلوب الحجة العقلية، وقد طرق أسلوبا من أساليب الحجة العقلية هو أسلوب التنزل، الذي يراد منه إعطاء الطرف الآخر مجالا فسيحا لتفنيد حججه، والتنزل معه فيها ومن ثم دحض هذه الحجج وبيان بطلانها بأسلوب عقلي مقنع؛ ليتوصل بعدها الطرف الآخر إلى الاقتناع العقلي الطوعي الذي يكون سبيلا له للوصول إلى الحق .

وإذا أُشيح النظر صوب السنة المطهرة وُجِد أن الرد إلى العقل جانب مهم، وأسلوب مميز في تقرير الأفكار التي انجفل القلب عن التصديق بها ، حتى ولو لم يكن ذلك مقررا بلفظه الصريح ،بل مشارا إليه بفهم مآلات حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فالملاحظ في غير ما موقف

استعصى على المتلقي فهمه إحالته إلى الحجة العقلية ، والآيات والأحاديث وكلام السلف الصالح في هذا المجال جم غفير سيذكر الباحث – إجمالا ويأتي التفصيل في ثنايا البحث– طرفا منه :

من ذلك ما أورده البخاري (١٤٢٢) في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ أعرابيًّا أتى رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم فقال : إنَّ امرَأَتي ولَدَتْ غُلامًا أسوَدَ ، وإني أنكَرتُه ، فقال له رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: (هل لك من إبِلٍ؟) . قال : نعمْ ، قال : (فما ألوانُها؟) . قال : حُمْرٌ ، قال : (هل فيها من أَورَقَ؟) . قال : إنَّ فيها لوُرْقًا ، قال : (فأنَّى تُرى ذلك جاءها؟) . قال : يا رسولَ اللهِ ، عِرقٌ نزَعها . قال : ولعلَّ هذا عِرقٌ نزَعه (ج٩ ، ١٠١) ، والشاهد من الحديث كيف أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم الحجة العقلية ، حيث ربط الخطاب العقلي للمخاطب في قوله (هل لك من إبل) بالواقع المناسب له، حيث نقله عقليا لصورة موازية لما سأله عنه ، و اعتمد في ذلك على أسلوب القياس، ويظهر من خلال هذا الحديث التدرج المنطقي في الحوار حتى يصل إلى تقرير السائل بقوله:(إن فيها لوُرقا) ليضعه أمام أمر ليس له فيه إلا التسليم بأن ما حدث قد يكون له سبب يجهله هذا السائل في حينه، وبعد عرضه على العقل يتضح ذلك الأمرجليا، والمقصود أن هذا الأسلوب الذي يجعل الطرف الآخر مقتنعا بطوعه هو أسلوب يستحث المربين ومن في حكمهم إلى الالتفات إليه كونه أسلوبا نبويا ناجعا في التربية التي يحصد ثمارها المربون قبل المتربين .

فما ورد سلفا في الحديث مرده إلى الحجة العقلية التي تجعل الحق مقبولا عقلا، والباطل مردودا عقلا، وهذا هو المراد اليوم في التربية الحديثة ، فمع كثرة المغريات التي تعصف بأبناء المجتمع، والتي يروج لها أصحابُها احتاج المربون لمن يصل إلى العقول ليجتث منها كل حجة عقلية دخيلة، ويحل محلها الحجة العقلية السليمة الباعثة على الاطمئنان بداخل ذواتهم .

ومما يجدر التنبيه عليه أن المبالغة في رد كل شيء إلى العقل إنما هو جناية عليه، وأن الحجة العقلية إنما هي أسلوب تربوي يمكن استخدامه في المواقف التي قد يتعسر معها إقناع الطرف الآخر بغير العقل، كما أن إهمالَه هو تغييبُ لجانب مهم من جوانب تيسير الفهم وتسييره نحو الطريق القويم، والذي ينبغي على المربين هو وضع الشيء في موضعه فلا إفراط ولا تفريط، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم، فكما أن الحجة العقلية قد تهدي إلى الصواب ،فكذلك قد تجانبه كما كان من إبليس في محاجّته مع الله جل وعلا عندما أمر اللهُ عز وجل إبليس بالسجود لآدم عليه السلام فامتنع عن السجود محتجا بحجة عقلية فاسدة أنه مخلوق من النار، وآدم عليه السلام مخلوق من الطين، ظنا منه أن النار أشرف من الطين، قال بن كثير (١٤٢٠) :

" وقول إبليس لعنه الله:{أنا خير منه} من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع من الطاعة؛ لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول، يعني لعنه الله: وأنا خير منه، فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين أنه خير منه، بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقته منه، وهو الطين، فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه، وقاس قياسا فاسدا في مقابلة نص قوله تعالى: {فقعوا له ساجدين} [ص:٧٢] فشذ من بين الملائكة بترك السجود؛ فلهذا أبلس من الرحمة، أي: أيس من الرحمة، فأخطأ قبحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضا" (ج٣،ص٣٩٢).

واستخدام إبليس للحجة العقلية لم يكن في محله؛ لذلك كان استخدامه للعقل هنا وبالا عليه أورثه حسرة وندامة لا تنتهي.

مبررات الدراسة:

- التضلعُ من معين الكتاب العزيز(القرآن الكريم)، والسنة النبوية المطهرة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، واللذين لا يبلى- مع كثرة الأخذ، وتطواف الزمان- إعجازُهما، وعجائبُهما، وعظيمُ أثرهما في حياة الإنسان.
- الحاجة الماسة لبيان الأساليب التربوية الربانية التي يبنى عليها الاحتجاجُ بالعقل، والمتمثلة في أساليب القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة التي هي وحي يوحى، والتي يمكن أن تُبنَى عليه الخطواتُ المتزنة والثابتة في بيانِ الحق، وتحقيقِ التربية السليمة عن طريق العقل.
- تنمية ملكة الاحتجاج بالعقل، والتي أكد عليها القرانُ الكريم، والسنةُ النبوية، بحيث يصبح المتربي قادرا على الحوار العقلي الذي يصل بمُحاوره إلى الاقتناع الطوعي، أو يصل به إلى مواجهة الشبه العقلية بالطرق والأساليب التربوية الصحيحة.
- كثرة التحديات التي تواجه المجتمعَ وأبناءه، والتي يتمثل جزءٌ منها بالتفنن بالإقناع العقلي سواء في التنفير من ثوابت الدين الإسلامي الحنيف، أو الدعوة للأديان والمعتقدات الباطلة، التي ترى أن المنهج التربوي الإسلامي لم يعد صالحا لهذا الزمان الذي أصبح الاعتماد فيه على العقل يشغل حيزا كبيرا.
- جمع الموضوع بين الجدة والأصالة، فالحجة العقلية متوفرة في بطون الكتب التربوية، مما يعني أنها مستقاة من الوحيين العظيمين، ولكنها لم تفرد- حسب علم الباحث- بدراسة تربوية مستقلة، وإنما ترد عَرَضا في أساليب الإقناع أو الحوار.

أسئلة الدراسة :

١- ما طبيعة العلاقة بين الحجة العقلية والحجة بالشرع في التربية الإسلامية ؟

٢- ما أسس الحجة العقلية في التربية الإسلامية ؟

٣- ما التطبيقات التربوية للحجة العقلية في المؤسسات التعليمية ؟

أهداف الدراسة :

وتتمثل أهداف الدراسة في الكشف عن:

٤- طبيعة العلاقة بين الحجة العقلية والحجة بالشرع في التربية الإسلامية .

٥- أسس الحجة العقلية في التربية الإسلامية .

٦- التطبيقات التربوية للحجة العقلية في المؤسسات التعليمية .

منهج الدراسة :

استخدم الباحث المنهج الاستنباطي.

الدراسات السابقة:

١- دراسة كردي (١٤٣٠) بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم .

أهداف الدراسة :

أ- الكشف عن أسلوب الاحتجاج في القرآن الكريم ورصد أساليبه البلاغية.

ب- إبراز بلاغة القرآن في الجمع بين الإقناع والإمتاع بمخاطبة العقل والوجدان.

ج- استنباط طريقة القرآن في سوق الحجج التي تجلي بلاغة الخطاب الإلهي.

منهج الدراسة :

وقد اتبعت الباحثة في دراستها عدة مناهج وهي:المنهج الاستقرائي، المنهج التصنيفي، المنهج التاريخي، المنهج الوصفي، المنهج الاستنباطي.

نتائج الدراسة:

١. تتراوح أساليب الاحتجاج بين الشدة والعنف تبعا للحال والمقام.

٢. أظهرت الدراسة امتياز أدلة القرآن بتنوعها بين الحس والعقل.

٣. كشف البحث عن جوانب من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.

٤. أكدت الدراسة وجود الأدلة العقلية في العهد المكي والمدني.

وتتفق هذه الدراسة مع دراسة الباحث في أنها تناولت موضوع الحجة العقلية، وتختلف في كونها تناولت الحجة العقلية من ناحية بلاغية ،والدراسة الحالية ستتناولها من ناحية تربوية.

٢- دراسة جبار(١٤٢٢) بعنوان الإقناع في التربية الإسلامية .

أهداف الدراسة :

أ) التعرف على الإقناع ومصادره الشرعية وشروطه.

ب) التعرف على الأساليب التي يتم به الإقناع.

ج) توضيح الآثار التربوية للإقناع والتطبيقات التربوية له أيضا التي من خلالها يتم تحقيق أهداف عملية كثيرة.

منهج الدراسة: وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج الاستنباطي.

نتائج الدراسة:

١. أن القرآن الكريم فيه من الأدلة والمناهج ما يقنع الناس على اختلاف وتباين أفهامهم.

٢. أن جدل القرآن لا يتجه إلى مجرد الإفحام والإلزام، بل يتجه غالبا إلى إثبات الحقائق.

٣. أن الرسول صلى الله عليه وسلم سلك مسلك القرآن في إقناعه بالدين الصحيح.

٤. إن الخلل الموجود لدى المربين يكمن في عدم تطبيقهم لأساليب الإقناع.

وتتفق دراسة جبار مع دراسة الباحث في كون الحجة العقلية أسلوبا واحدا من أساليب الإقناع , و تختلف أن هذه الدراسة لم تتناول الحجة العقلية بالتفصيل بل ذكرت أنها أسلوب من أساليب الإقناع ، بينما الباحث سيخصص بحثه عن الحجة العقلية بالتفصيل من حيث أسسها و أساليبها وتطبيقاتها ، وكان من توصيات هذه الدراسة السابقة تخصيص أسلوب واحد من أساليب الإقناع بالبحث، وهذا هو الذي فعله الباحث في رسالته الحجة العقلية .

الحجة العقلية:مفهومها، تأصيلها،طبيعة العلاقة بينها وبين الحجة النقلية

المبحث الأول :مفهوم الحجة العقلية

في اللغة هي :

ما دفع به الخصم ، والجمع حجج وحِجاج ، وحجه يحجه حجاً: غلبه على حجته، واحتج بالشيء : اتخذه حجة" (المرسي، ١٤٢١، ج٢، ص٤٩٢)، وقال الجرجاني (١٤٠٣): " الحجة مادل به على صحة الدعوى"(ص٨٢).

أما اصطلاحاً فهي :

" أسلوب للمناقشة والإقناع فيه رد على المخالف، أو إرشاد له بحجة عقلية وجدانية تقطع عناده " (كردي،١٤٣٠، ج١، ص٢٥-٢٦).

ويرى الباحث أن الحجة العقلية هي : أسلوب إقناعي يُحتَكم فيه إلى العقل بأدلة تراعي حال المخاطب، وتصل به إلى الاقتناع دون إكراه، سواء أظَهر اقتناعه أو لم يظهر .

وللفظ الحجة أو اشتقاقاتها في القرآن الكريم معانٍ كثيرة، منها :

١- الجدال :

قال ابن منظور(١٤١٤) " الجدال مقابلة الحجة بالحجة " (ج١١، ص١٠٥)، وقال الواحدي (١٤١٥) في تفسير قول الله تعالى:چڤڤڦڦڄڄڄ...چ (البقرة:٢٨٥): " حاج : جادل " (ج١، ص١٨٤)، وبه قال الأيجي (١٤٢٤) في تفسيره (ج١، ص١٩١)، وقاله الشافعي (١٢٨٥هـ) في السراج المنير (ج١، ص١٨٤).

٢- السلطان:

قال الدقيقي (١٤٠٥) : " السلطان الحجة " (ج١، ص١٤٢)، وقال ابن أبي حاتم (١٤١٩) :عن ابن عباس رضي الله عنهما قال " كل سلطان في القرآن حجة " (ج٦، ص٢٠٨٠)، وقال ابن القيم (١٤١٦) : " قال ابن عباس رضى الله عنهما: كل سلطان في القرآن فهو حجة وهذا كقوله تعالى: چ ھ ے ۓ ڭڭ ڭ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا چ (يونس: ٦٨)، يعني ما عندكم من حجة بما قلتم إن هو إلا قول على الله بلا علم، وقال تعالى چو و ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅ ۅ ۉ ۉ ې ې ى ى ئا ئا ئە ئە ئو ئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې چ (النجم: ٢٣)، يعني ما أنزل بها حجة ولا برهانا ، وقوله تعالى: چپپپٻٻچ (الصافات:١٥٦)، يعني حجة واضحة...، والمقصود أن الله سبحانه سمى علم الحجة سلطانا لأنها توجب تسلط صاحبها واقتداره فله بها سلطان على الجاهلين" (ج١، ص ص٢٤٣- ٢٤٤).

وقال الطبري (١٤٢٠) في تفسير قوله تعالى:چەەهههھ ےۓچ (النحل: ٩٩) : "يعني بذلك أن الشيطان ليست له حجة على الذين آمنوا بالله ورسوله ... إنما حجته على الذين يعبدونه " (ج١٧، ص٢٩٤).

٣- البرهان :

قال الفارابي (١٤٠٧) : " البرهان : الحجة ، وقد برهن عليه ، أي أقام الحجة " (ج٥، ص٢٠٧٨)، وقال ابن منظور (١٤١٤) : " البرهان : الحجة الفاصلة البينة ، يقال برهن يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة لِلَدِدِ الخصم " (ج١٢، ص٥١).

قال الثعلبي (١٤٢٢) في تفسير قوله تعالى : چئۇئۈئېئېچ (البقرة: ١١١) : "برهانكم : حجتكم على ذلك وجمعه براهين " (ج١، ص٢٥٩)، وقال السمعاني (١٤١٨) في تفسير قوله تعالى : چووۇۇېې ىىئاچ (النساء:١٧٤) : "والبرهان في اللغة هو الحجة" (ج١،ص٥٠٧) ، وقال المناوي (١٤١٠): "البرهان ما فصل الحق عن الباطل ، وميّز الصحيح عن الفاسد بالبيان الذي فيه " (ج١، ص١٢٣).

المبحث الثاني : تأصيل الحجة العقلية

خلق الله جل وعلا العقل لحكمة عظيمة لا تكاد تخفى على أحد من الناس، شأنه في ذلك شأن سائر الأعضاء بل شأن كافة ما خلق الله تعالى، وجعل سبحانه كل ما خلق مجالا مريعا للإنسان يتفكر فيه؛ ليعلم عِظم الخالق جل في علاه، وليعلم أن لكل شيء وظيفة محددة حيث أنه لا يمكن أن يكون هناك شيء أوجده الله تعالى بدون وظيفة، وخلقه لغير هدف، ولكن قد يخلق الله عز وجل شيئا لا يعلم كنهه ووظيفته إلا هو سبحانه، قال تعالى: چے ے ۓ ۓ ﮲ ﮳ ﮴ چ (المؤمنون: ١١٥) ، قال ابن كثير(١٤٢٠): "أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثا بلا قصد ولا إرادة منكم ولا حكمة لنا، چۇۆۆۈۈۇٴۋۋۅۅچ (المؤمنون: ١١٦)، أي تقدس أن يخلق شيئا عبثا، فإنه الملك الحق المتنزه عن ذلك" (ج٥،ص٥٠٠).

لقد اهتم الإسلام بالعقل؛ لكون هذا العقل هو المسؤول عن التفكر والتدبر في الأدلة التي جعلها الله تعالى موصلة إلى وحدانيته، وألوهيته، وربوبيته، كما أنه مسؤول أيضا عن كف النفس عن التردي في مزالق الشر من شهوات، و شبهات.

وقد فطر الله عز وجل الناس على الفطرة التي تهيئهم لإدراك كنه وجودهم في الدنيا، وجعل سبحانه العقل تبعا لهذه الفطرة، قال ابن تيمية (١٤١١): " فإن كون الحادث يحدث نفسه من غير محدث يحدثه من أبين الأمور استحالة في نظر جميع الناس، والعلم بذلك مستقر في فطر جميع الناس حتى الصبيان، حتى أن الصبي إذا رأى ضربة حصلت على رأسه قال : من ضربني وبكى حتى يعلم من ضربه، وإذا قيل له ما ضربك أحد، أو هذه الضربة حصلت بنفسها من غير أن يفعل أحد لم يقبل عقله ذلك"(ج٨، ص٣٠٥)، وهذا يدل على أن الاحتجاج بالعقل فطرة جِبِلِّيَّةٌ في الإنسان لا تنفك عنه البتة، وقد يحدث أن يؤثر مؤثر ما على هذه الفطرة فتفسد بسبب هذا المؤثر كما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى منها جدعاء"(البخاري، ١٤٢٢، ج٢، ١٣٨٥، ص١٠٠).

إن العقول عندما فسدت وتبدل إدراكها في فهم الحكمة من الوجود البشري في هذه الدنيا أنزل الله تعالى الوحي؛ ليصلح فساد العقول، و ليعيدها إلى فطرتها التي خلقها الله عز وجل عليها، وبين سبحانه مراده من عباده إما عن طريق النقل الصحيح المضمن في الوحي، أو عن طريق الأدلة العقلية التي تثبت صحة الخبر أو فساده، فكما أن النقل حجة على العبد فإن العقل حجة عليه كذلك، ويمكن تأصيل الحجة العقلية من خلال مايلي:

١) دلالة القرآن الكريم على الحجة العقلية:

القرآن هو كلام الله عز وجل ، المنزه عن التحريف ، الكامل في معناه، الصحيح في مبناه، كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فما أقره القرآن فهو الصحيح، و ما نفاه فهو القبيح، والقرآن هو الحجة العظمى على الخلق أجمعين.

لقد تضمن القرآنُ الكريمُ – من خلال آياته– الدلالةَ على أن العقلَ حجةٌ كما أن الآيات حجة، لا ينفك أحدهما عن الآخر " بل هما أخوان نظيران وصل الله بينهما وقرن أحدهما بصاحبه ، قـــال تعـــالى : چﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮچ (الأحقاف: ٢٦)، فذكر ما ينال به العلوم وهي السمع والبصر والفؤاد الذي هو محل العقل "(بن القيم، ١٤٠٨، ج٢،ص٤٥٧).

إن السمع و البصر والفؤاد هي مكان وقوع آيات الله عز وجل، فالآيات المتلوة تقع على السمع، والآيات الكونية تقع البصر، وتدبر تلك الآيات يقع من العقل ، " فجمع سبحانه بين السمع والعقل وأقام بهما حجته على عباده فلا ينفك أحدهما عن صاحبه أصلا، فالكتاب المنزل، والعقل المدرك حجة الله على خلقه، وكتابه هو الحجة العظمى فهو الذي عرفنا ما لم يكن لعقولنا سبيل إلى استقلالها بإدراكه أبدا، فليس لأحد عنه مذهب، ولا إلى غيره مفزع في مجهول يعلمه، ومشكل يستبينه، وملتبس يوضحه، فمن ذهب عنه فإليه يرجع ومن دفع حكمه فبه يحاج خصيمه إذ كان بالحقيقة هو المرشد إلى الطرق العقلية والمعارف اليقينية"(بن القيم، ١٤٠٨، ج٢،ص٤٥٨).

وقد أشار القرآن الكريم في مواضع كثيرة منه إلى أن العقل حجة ، "وذكر من الأدلة العقلية والأمثال المضروبة التي هي مقاييس برهانية ما هو أكمل في تحصيل العلم واليقين"(ابن تيمية،١٤١١ج٧،ص٢٨٩).

إن استعمال العقل أمر شائع في القرآن الكريم ، وليس في القرآن دليل سمعي، و لا آية كونية إلا والعقل يثبتها، ويدل عليها، ولا ينافيها أبدا، و قلّ أن يوجد في القرآن الكريم مطلب إلهي، أو حكم تشريعي، إلا و للعقل نظر فيه، وبرهان عليه، يحكم ذلك كله صلاح العقل، أو فساده،" فعامة المطالب الإلهية قد دل القرآن عليها بالأدلة العقلية ، والبراهين اليقينية "(ابن تيمية،١٤٠٦، ج١، ص٢٩٥).

إن مما يلاحظ في بعض الآيات الكريمة كيف أن أقواماً استندوا إلى الاستدلال بالعقل فقط فكان أن رد القرآن الكريم عليهم بمثل ما استندوا إليه، وهذا يكفي بأن يكون العقل حجة من خلال دلالة القرآن الكريم على هذا الضرب من الاحتجاج، قال ابن تيمية(١٤١٩): "والقرآن قد دل على أن

الأدلة العقلية التي بها يعرف الصانع وتوحيده وصفاته وصدق رسله، وبها يعرف إمكان المعاد، ففي القرآن من بيان أصول الدين التي تعلم مقدماتها بالعقل الصريح ما لا يوجد مثله في كلام أحد من الناس بل عامة ما يأتي به من حذاق النظار من الأدلة العقلية يأتي القرآن بخلافها أو بما هو أحسن منها" (ج١٢،ص٨١).

إن الدليل العقلي هو من ضمن ما أثبتته آيات القرآن الكريم والتي حكى الله عز وجل فيها على احتواء القرآن الكريم على كل شيء من شأنه أن يكون سببا في توجيه مسار حياة الإنسان نحو تحقيق المطالب الإلهية، وما يريده خالقه جل وعلا، والتي يدخل فيها ضمنا الأدلة العقلية، قال تعالى: چٱٻٻٻٻپپڀ (الفرقان: ٣٣).

إنه ما من حجة يحتج بها المعاندون إلا والقرآن الكريم يأتي بحجةٍ تدحضها، ومثلٍ يفوقها حسنا، و يفضُلها تفضيلا، " فلا تجد كتابا قد تضمن من البراهين، والأدلة العقلية على هذه المطالب ما تضمنه القرآن فأدلته لفظية عقلية ، فإن لم يفد اليقينچتخ**تم**تى تيچ (المرسلات:٥٠) (ابن القيم، ١٤٠٨، ج٢، ص٧٩٤).

٢) دلالة السنة النبوية المطهرة على الحجة العقلية:

بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بشيرا ونذيرا للناس كافة، وكما جعل الله جل وعلا القرآن الكريم هو الهداية والنور فقد جعل السنة المطهرة تبعا للقرآن العظيم، تجلي معانيه، وتكشف أسراره.

إن الإيمان بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم داخل تحت مظلة الإيمان به صلى الله عليه وسلم، وهذا الإيمان لايصح إلا بالقبول، والانقياد لما جاء به عليه الصلاة والسلام، قال بن تيمية (١٤١١): " لا يمكن أن يكون تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به معلقا بشرط ولا موقوفا على انتفاء مانع بل لابد من تصديقه في كل ما أخبر به تصديقا جازما كما في أصل الإيمان به"(ج١،ص١٨٨،ص١٨٩).

وكما أن القرآن الكريم قد أورد الاحتجاج بالعقل، فكذلك ورد في السنة النبوية ما يدل على صحة الاحتجاج بالعقل مما لا يمكن أن يكون معارضا للدليل النقلي، ولمراد الشارع سبحانه وتعالى، قال ابن تيمية(١٤١١): " فلابد من الجزم بأنه يمتنع أن يعارض خبره[أي النبي صلى الله عليه وسلم] دليل قطعي لا سمعي و لا عقلي، وأن ما يظنه الناس مخالفا له إما أن يكون باطلا، و إما أن يكون مخالفا، وأما تقدير قول مخالف لقوله، و تقديمه عليه فهذا فاسد في العقل كما هو كفر في الشرع"(ج١،ص١٨٩).

إن الاحتجاج بالعقل في السنة النبوية المطهرة لا يعني قصورها، أو عدم اليقين بها ، بل إن الاحتجاج بالعقل في السنة النبوية عاضد لها وموصل إلى معرفتها، قال ابن تيمية(١٤١١): "فالرسول صلى الله عليه وسلم يخبر بالحق، ويقيم عليه الأدلة العقلية البرهانية الموصلة إلى معرفته كالأقيسة العقلية وهي الأمثال المضروبة"(ج٣، ص٣٠٥).

ويمثل الاحتجاج العقلي في السنة النبوية ردٌّ للفطرة إلى أصلها مما قد يعرض لها من مؤثرات تكون سببا في حيدتها، أو انتكاستها، أو فسادها " فليست العلوم النبوية مقصورة على الخبر، بل الرسل صلوات الله عليهم بينت [بينوا] العلوم العقلية التي يتم بها دين الله علما وعملا، وضربت الأمثال فكملت الفطرة بما نبهتها عليه، وأرشدتها لما كانت الفطرة معرضة عنه، أو كانت الفطرة قد فسدت بما يحصل لها من الآراء والأهواء الفاسدة فأزالت ذلك الفساد"(آل فراج، ١٤٢٨،ص١٣٥).

وقد وردت في السنة أمثلة كثيرة استخدم النبي صلى الله عليه وسلم فيها الحجة العقلية– كما في قصة الأعرابي الذي ولد له ولد أسود– وفي هذا دليل على أن السنة أثبتت أن العقل حجة إذ لو لم يكن كذلك لما استخدمه النبي صلى الله عليه وسلم.

ولاريب أن الدعوة إلى الله تعالى وبخاصة مع المعاندين تحتاج إلى سلوك مسلك يقرب فكرة الداعي إليهم و بخاصة إذا تمكنت من قلوب المدعوين فكرة لا يمكن أن يتنازلوا عنها بسهولة كأن تكون إرثا من الآباء والأجداد، أو تكون مخالفة لرغباتهم وما تهواه أنفسهم، وهذ ما وجده النبي صلى الله عليه وسلم في غرة البعثة، وبدء الدعوة، فاستخدم عليه الصلاة والسلام العقل في الاحتجاج على بعض القضايا المسلّم بها عند قومه؛ ليكون ذلك سبيلا له إلى جذب الناس إليه بأسلوب إقناعي لا فضاضة فيه ولا غلظة، مما يؤكد صحة الاحتجاج بالعقل، وسترد أمثلة مبينة لهذا في الفصل الثالث.

٣) استعمال السلف للحجة العقلية:

قيض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة رجالا حملوا مشعل الدعوة إلى الله تعالى، وتبليغ دينه، والسير على نهج نبيه صلى الله عليه وسلم، لم يحيدوا عن الطريق الذي رسمه لهم نبيهم صلى الله عليه وسلم فكانوا هم الذين انطلقت منهم الخيرية التي قال عنها النبي صلى الله عليه وسلم: "إن خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، قال عمران : "فلا أدري أقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه مرتين أو ثلاثا".(مسلم، د.ت، ج٤، ٢٥٣٥، ص١٩٦٤).

وقد اتخذ السلف عليهم رضوان الله من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم منهاجا ساروا عليه" فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به، و لهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل أو رأي أو قياس ...، ولافيهم من يقول أن له ذوقًا، أو وجدًا، أو مكاشفةً تخالف القرآن والحديث" (بن تيمية، ١٤١٦،ج١٣،ص٢٩)، فهم يسيرون مع القرآن الكريم، والسنة المطهرة حيث سارا لا يخالفونهما بحال، بل إنهم يؤكدن أن كل ما عارضهما من كلامهم أو كلام غيرهم من الناس فإنه لا يعتد به، ولا ينظر إليه حتى لو كان أحدهم هو القائل، قال ابن عبدالبر (١٤١٤) : " يقول مالك بن أنس إنما أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا في رأيي فكلما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وكلما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه"(ج١،ص٧٥٧).

إن السلف الصالح رضوان الله عليهم إنما هم متبعون لمنهج رباني قويم حكاه الله عز وجل في كتابه فوقفوا عنده و لم يتجاوزوه ؛ لعلمهم أنه هو الطريق الموصل إلى بغيتهم، و مرادهم فاتبعوه، قال تعالى: چئۇئىئېئىئىئىئىيىيئجئحئمئى ئي بج بح بخ بم بى بي تج تح تختم تى تي ثج ثمچ(النساء : ٥٩)، فحثهم سبحانه على الطريق، و رسمه لهم، و أمرهم أن يسلكوا مسلك الطاعة له ثم لرسوله ثم لأولي الأمر، أما إذا حصل صراع و اختلاف فليس هناك إلا المرد إلى كتاب الله عز وجل، و إلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم دون سواهما.

ولما كان هذا الانقياد من السلف رضوان الله عليهم لكتاب الله عز وجل ولسنة رسوله صلى الله عليه وسلم جاء ذلك تبعا لكل ما فيهما، و من ضمن ذلك الاحتجاج بالعقل الذي أثبتته نصوص القرآن الكريم، و أثبتته نصوص السنة النبوية المطهرة " فإذا كانت النصوص قد تضمنت دلائل العقول الصحيحة التي يحتاج إليه المكلف، فالسلف آخذون بكل ما جاء في النصوص، فمنهجهم قد تكاملت دلائل الحق فيه، و لا يمكن أن يوجد شيء من دلائل الحق إلا وهو داخل في أصول منهجهم" (الشهري،١٤٣١،ص٤٩).

إن استعمال السلف للعقل في إثبات ما أثبته القرآن الكريم، وأثبتته السنة النبوية لهو دليل على أن العقل حجة، وهذا هو الملاحظ في سيرهم عليهم رحمة الله ، و ردهم على مخالفيهم "فسلك الإمام أحمد وغيره مع الاستدلال بالنصوص و الإجماع مسلك الاستدلال بالفطرة والأقيسة العقلية الصحيحة"(بن تيمية،١٤٢٦،ج٥،ص٨٣).

وكما أن السلف كانوا يحتجون بصحيح النقل فإنهم كانوا يحتجون بصريح العقل الموافق لصحيح النقل الذي أثبته الشرع واحتج به، و جعله دليلا للناس ليستدلوا به، قال ابن القيم(١٤٠٨): " إن السمع حجة الله على خلقه ، وكذلك العقل فهو سبحانه أقام عليهم حجته بما ركب فيهم من

العقل وبما أنزل إليهم من السمع، والعقل الصريح لا يتناقض في نفسه، كما أن السمع الصحيح لا يتناقض في نفسه، وكذلك العقل مع السمع، فحجج الله وبيناته لا تتناقض ولا تتعارض، ولكن تتوافق وتتعاضد" (ج٣،ص١١٨٧).

وقد سار علما ء السلف المتأخرون على ما سار عليه أشياخهم المتقدمون في إثبات صحة الاحتجاج بالعقل، يقول أمير(١٤١٩): " ويرى الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة الله عليه أن العقل الصريح ميزان مع الكتاب في معرفة الحق والاحتجاج به مع النقل الصحيح"(ج١،ص٩٩)، فهذا الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذي سخره الله جل و علا وجعله مجددا للتوحيد، و قامعا للبدع، والضلالات يقر بأن العقل حجة في إثبات الحق إذا لم يخالف نقلا صحيحا، وقد ثبت من خلال سير بعض السلف ومؤلفاتهم ما يدل على صحة الاحتجاج بالعقل عندهم، وأنه لا يقل أهمية عن الاحتجاج بصحيح النقل ما دام أنه غير مخالف له.

٤) أن الله عز وجل جعل العقل حجة في إثبات التوحيد:

التوحيد هو أعظم مطلوب إلهي، ومراد رباني، جعله الله سببا لخلق الناس، فمن استقر في قلبه توحيد الله جل وعلا نجا، و من خالط قلبه شيء غير الله تعالى مما هو خاص به سبحانه ضل وهلك، قال تعالى چچچچچچ (الذاريات: ٥٦) ، قال البغوي (١٤١٧) : " ليعبدونِ : أي ليوحدوني "(ج٧،ص٣٨١).

ومن تتبع آي القرآن الكريم يجد أن الله عز وجل قد جعل العقل حجة في تقرير توحيده سبحانه، وقد زخر القرآن الكريم بالأدلة العقلية التي تثبت وحدانية الله عز وجل، و قد قرر العلماء رحمة الله عليهم عند تفسيرهم لبعض الآيات أن العقل حجة في توحيد الله عز وجل، قال ابن القيم(١٤٠٨): " في قول الله تعالى چئ ئ ئ ئ ى ى ې ې ې ې (يس: ٢٢) " أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفا لهم ، ونبه أن عبادة العبد لمن فطره أمر واجب في العقول، مستهجن تركها، قبيح الإخلال بها"(ج٢، ص٣٩٥).

إن التوحيد لمّا كان مستقرا في النفوس خاطب الله عز وجل أقواما من خلقه خطابا عقليا يبين لهم فيه قبح الشرك، وأن ذلك غير مقبول عقلا، فعندما قال الله عز وجل: چےۓۓڭچ (الصافات: ٩٥)، لم يكن ذلك مقبولا عقلا، فكيف تصرف العبادة لغير الله تعالى، و يُشرك معه غيره، و إذا أُريد الدعاءُ يُدعَى الله وحده.

إن العقل بما وهبه الله تعالى من قدرات، و بما منحه من إمكانات قد هيأت هذا العقل ليكون قادرا على تحقيق المراد منه، فتعالى الله عز وجل أن يخلقَ الإنسان، ويجعلَ له عقلا، ويهيئَ

هذا العقل لعملٍ ما ثم يكون به موضع خلل أو نقص يقصِّر به عن أداء ما خلقه الله عز وجل لأجله، إلا أن يكون ذلك تقصيرا من ذات الإنسان في سبب من أسباب نماء قدراته العقلية التي تجعله مستعدا للعمل، فإن ذلك خلل في أداء المخلوق وليس خللا في الخالق سبحانه وتعالى.

إن مما ركبه الله في العقول أن جعلها قادرة على إقامة الحجج التي تدل على إثبات العبودية لله، و نفيها عن ما سواه، قال آل فراج (١٤٢٨): " وقد هيأ الله العقول للقيام بالبراهين الباهرة والحجج الدامغة، والأدلة الدالة على تلك الحقيقة[أي التوحيد] التي كانت سببا لانبثاق كافة الحقائق، وبهذا كانت الفطر والعقول من أقوى مستندات النبيين والمرسلين على الملحدين والمشركين، وبذلك أصبح العقل حجة مستقلة في بطلان الشرك ولو لم يرد بحرمته شرع"(ص١١٨).

لقد جعل الله عز وجل توحيده جِبَلَّةً في العقول، لذلك فإن العقول تستنكر أي طارئ يخالف هذه الجبلة، إذ لا يستقيم فيها أن ينعم الله سبحانه وتعالى على العبد و يعبد العبد غير الله عز وجل المنعم، أو أن يخلق اللهُ تعالى، وينفع سبحانه ويدفع الضر، ثم يلجأ العبد إلى غيره ، لذلك فالعقل حجة في تقرير التوحيد وإثباته، كما أنه حجة في نفي الشرك وبطلانه.

المبحث الثالث : طبيعة العلاقة بين الحجة العقلية والحجة النقلية

خلق الله عز و جل الخلق و جعل لخلقهم حكما شتى، ولكنه حصرها جل وعلا في قوله : چچچچچچ (الذاريات: ٥٦)، والعبادة هي اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال ، ولا ريب أن الإنسان يولد على الفطرة ، ولكنّ هذه الفطرة إن لم تُزَم بزمام التوجيه القويم فإنّ صاحبها يتنحى عن الجادة، وعن الطريق المستقيم كما ثبت ذلك من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال :" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصّرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها من جدعاء" (المدني ، ١٤٠٦،٥٢، ص٢٤١).

والإسلام هو الدين الحق الذي ارتضاه الله جل وعلا للناس، و جعل الله تعالى على هذا الدين مدار الفوز، والخسارة في الآخرة، قال تعالى: چڤ ڤ ڤ ڤ ٹ ٹ ٹ ٹچچچچچ (آل عمران ٨٥)، وقال تعالى : چچ چ چ چچ چ (آل عمران: ١٩).

وإذا كان العباد يسعون لرضى الله عز و جل، بل إنه هو الهدف الأسمى من فعل الطاعات، و اجتناب المعاصي، فإن الله تعالى يكرم عباده، ويتفضل عليهم بأن يطلب رضاهم رغم غناه عنهم وفقرهم له، و لكنه الكرم في أجلى صوره، و أسنى معانيه، و من رضي الله عنه أرضاه

ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ (البينـة:٨)، ومـن رضـي اللـه عنـه وفقـه لهـذا الـدين العظـيم ديـن الإسـلام، أكمـل الأديـان وأشـملها، قـال تعـالى: ﭽ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﭼ (المائـدة:٣)، قـال السـعدي(١٤٢٠): "اخترتـه واصـطفيته لكـم دينـا، كمـا ارتضـيتكم لـه، فقومـوا بـه شـكرا لـربكم، واحمـدوا الـذي مَنَّ علـيكم بأفضـل الأديان وأشرفها وأكملها" (ص٢١٩).

وهذا الدين العظيم التكاملي لا يلزم الإنسان بفعل ما يريده الله منه قبل أن يكلف، وأساس التكليف هو العقل، ووظيفة العقل أن يعقل الشرع ويفهمه، و الشرع قد بيّنه الله تعالى لنا عن طريق الرسل عليهم السلام والذين كانوا يتلقون الوحي عن ربهم جلّ وعلا ، وقد خص الله عزّ وجل نبينا محمداً صلى الله عليه وسلّم بالكتاب العزيز المحفوظ، و المصون عن التحريف ، والنقص، قال تعـالى : ﭽ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﭼ (فصلت: ٤١-٤٢) وقولـه تعالى: ﭽ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﭼ (الحجر: ٩).

إن طبيعـة العلاقـة بـين الحجـة العقليـة والحجـة النقليـة لتنبثق مـن أصـل العلاقـة بـين العقل والنقل، فالله سبحانه وتعالى جعل السنّة مبينة و موضحة للقرآن، ومفسرة لمعانيه ، فعن المقدام بن معدي كرب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: "ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه ..." (بن حنبل،١٤٢١، ج٢٨، ١٧١٧٤، ص٤١٠)، ومن خلال ما سبق يتبين أن أصل التلقي هو الوحي أي: الكتاب،و ما صح من السنّة، و المعروف بالنقل.

وهناك أصل ثان للتلقي لا يقل أهمية عن الأصل الأول ألا وهو العقل، و ليس كل عقل يصلح أن يكون مصدرا للتلقي،و لكن العقل المقصود هوالذي يعمل وفق مايمليه عليه النقل،فما أقره النقل كان لزاما على العقل إقراره،ومالم يقره النقل كان واجبا على العقل رده.

إن العقل مجبول على معرفة اللـه تعالى والإيمان بـه ، قال ابن القيم : (١٤٠٨)"فإن الله سبحانه ركّب العقول في عباده ليعرفوا بها صدقه، وصدق رسله ، ويعرفوه بها، ويعرفوا كماله، وصفاته ، وعظمته وجلاله ، وربوبيته وتوحيده ، وأنّه الإله الحق وما سواه باطل" (ج٤،ص ١٢٣٦).

ولا يمكن للعقل أن يستقل عن النقل بل هو تـابعٌ لـه، فهو فطرة في الإنسان تنشأ على التوحيد، حتى إذا داخلها ما يخالفها وضعفت استمدت قوتها من الوحي، قال ابن تيمية (١٤١٦) عن العقل: " فهو غريزة في النفس ، وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين ، فإن اتصّل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس " (ج٣،ص٩٣٩).

إن المتأمل في نصوص الشرع يجد هناك تكاملاً عجيباً مع مدلولات العقل ، ولا ريب في ذلك إذ أنّ من أمر بالشرع وحياً هو من أوجد العقل خلقاً ، فلا غرو أن يكون هناك تلازم بينهما "فالعقل لم يهتدي إلاّ بالشرع ، والشرع لا يتبين إلا بالعقل ، فالعقل كالأُسّ ، والشرع كالبناء ، ولن يُغني أسّ ما لم يكن بناء، و لن يثبت بناء ما لم يكن أسّ "(الأصفهاني ،١٩٨٣ ، ص ٧٣).

إن العقل السليم لا يثبت إلا ما أثبته النقل، فهو لا يستغني عنه بحال ، و لو علم الله استغناء العقل عن النقل لم يُرسل الرسل ولم يُنزل الكتب ، وما ذاك إلاّ لأنّ العقل محدود المدارك، قليل الإحاطة ، أمّا الشرع فقد بيّن كل شيء وأحاط بكل شيء قال تعالى: چچ چچڈڈچ (الأنعام: ٣٨) قال القرطبي (١٣٨٤): " أي ما تركنا شيئا من أمر الدين إلا وقد دللنا عليه في القرآن، إما دلالة مبينة مشروحة، وإما مجملة يتلقى بيانها من الرسول عليه الصلاة والسلام، أو من الإجماع، أو من القياس الذي ثبت بنص الكتاب" (ج٦،ص٤٢٠)، فالشرع تام كامل، و الدين بيِّن واضح، ارتضاه الله لعباده لأن فيه سعادتهم وما تقوم به حياتهم مما لا يحتاجون معه إلى غيره .

إن مما يدل على تكامل وتعاضد الشرع مع العقل دعوة القرآن العظيم لإعمال العقل في غير ما موضع منه ، بل لا يكاد أحد أن يجد في القرآن آية ليس للعقل فيها عمل ، لذا يتبين أن العقل المستنير بنور الوحي والشرع يكون تفكيره وعمله قويما لا اعوجاج فيه، فالعقل يستمد كماله من كمال الوحي ، حيثُ لا يمكن أن يتعارض العقل مع الوحي = النقل البتة ، فالقاعدة الشرعية تقول ((العقل الصريح لا يعارض النقل الصحيح)) حيث أنّ الأصل منبعه واحد هو الله جل جلاله، فمن أنار الله بصيرته علم أنّ الله عز وجل لا يمكن أن يجعل هناك تناقضاً وتضّاداً فيما يأمر به، فهم موقنون أن الله قد خلق كل شيء بقدر، وأمر بكل شيء بحكمة "فأهل السنة قد تحققوا أن لا معاندة بين الشرع المنقول والحق المعقول"(الغزالي،١٤٢٤، ص٩). وكيف يكون هناك تضاد والعقل يشهد أن كل ما جاءت به الشريعة صحيح لا مرية فيه.

إن منطلق العقل للتصديق بالشرع هو الإيمان بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم، والإيمان بصدقه، و الذي يقتضي الإيمان بصحة وسلامة كل ماء جاء به عن ربه عز وجل سواءً من القرآن الكريم، أو السنة المطهرة، قال تعالى: چپپپ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ چ (النجم : ٣-٤)، فهو صلى الله عليه وسلم لا يتكلم عن هوى في نفسه، أو لغرض لها، بل هو إيحاء يتلقاه من ربه جل وعلا عن طريق جبريل عليه السلام، ثم هو صلى الله عليه وسلم يبلغه للناس؛ امتثالا لأمر ربه عز و جل چڻڻڻڻۀچ (الشورى: ٤٨).

إن النبيَّ صلى الله عليه وسلم مبلغٌ عن ربه جل وعلا، فمن آمن بالله تعالى لزمه تصديق رسوله صلى الله عليه وسلم، وتصديق ما جاء به من القرآن الكريم، و السنة الصحيحة الثابتة، التي ترشد إلى الهداية، وتقي من الضلالة، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلّم قال : (قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلاّ هالك " (ابن ماجه،١٤٣٠، ج١، ٤٣،ص٢٩)، فاتباع السنة هو طريق من طرق النجاة التي يسعى لها العبد، و الانفكاك عنها هو طريق مهلكة، وسبيل غواية.

إن التسليم بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلّم من الوحي هو حقيقة شهادة أن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، و التي تحُث على الاتباع المطلق لما يثبت من الشرع حتى وإن خالف عقل المتبع ، لأن ذلك لا يُعدّ قصوراً في الشرع بل قصوراً في عقل المتلقي حيث " لا يمكن أن يكون تصديق الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به معلقاً بشرط ولا موقوفاً على انتفاء مانع ، بل لا بد من تصديقه في كُل ما أخبر به تصديقاً جازماً كما في أصل الإيمان به " (ابن تيمية، ١٤١١،ج١، ص ١٨٩).

ومجمل ما مضى أن العقل الصريح موافق للنقل الصحيح ومن توهم أن بينهما تعارض فقد يكون ذلك مرده لأحد سببين :

الأول : أن النقل غير صحيح: و هذا ينطبق على السنة فقد يكون الحديث المنقول غير صحيح بأن يكون ضعيفاً أو مكذوباً ، أمّا القرآن فقد تكفّل الله تعالى بحفظه فلا سبيل للتحريف فيه ، قال ابن تيمية(١٤١١): " ووجدت ما يعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذي يُقال إنّه يُخالفه : إمّا حديث موضوع أو دلالة ضعيفة " (ج١،ص١٤٧)، وقال "لا يُعلم حديث واحد يخالف العقل، أو السمع الصحيح إلا هو عند أهل العلم ضعيف ، بل موضوع ، بل لا يُعلم حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في الأمر والنهي أجمع المسلمون على تركه إلا أن يكون له حديث صحيح يدل على أنّه منسوخ". (ج ١،ص ١٥٠).

الثاني : أن العقل غير صريح: وذلك بأن يكون غير متبع لكتاب الله تعالى ولا لسنّة نبيه صلى الله عليه وسلم، بل يكون صاحب هوى، أو شبهة تعميه عن اتباع الحق ، قال ابن تيمية (١٤١١) : " ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارض الشرع البتة بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط ، و قد تأملت ذلك في عامّة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة الصريحة شبهات فاسدة يعلم العقل بطلانها بل يعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع

"(ج١ ،ص١٤٧)، و ردُّ شيء مما ورد عن الله عز وجل أو عن رسوله صلى الله عليه وسلم دليل على فساد العقل وانتكاسته، إذ لو كان صحيحا سويا ما ردهما.

إن الذي يتبين مما سبق أن العقل تابع للنقل، غير مستقل عنه، فكما أن النقل حجة فإن العقل حجة أيضا، ولكن الحجة العقلية هي التابعة، والحجة النقلية هي المتبوعة، فالحجة العقلية تستمد قوتها من الحجة النقلية، فلا تخالفها، ولا تعارضها، وإن حصل شيء من ذلك وجب الاقتصار على الحجة النقلية؛ لأنها هي المنزهة عن النقص والزلل.

أسس الحجة العقلية

إن لكل بناء شامخ أسسًا يرتكز عليها، ودعائمَ يستمد قوته منها، حتى إذ ا تطاول بناؤه، وطال بقاؤه لم يضرْه ذلك شيئا، ولم يتأثر حتى وإن استمرَّ مكثُه، وإن الحجة العقلية تمثل ذاك البناء الذي يلزمه أساس متين يقوم عليه، وحتى تتبين هذه الأسس ندلف إلى بيان معناها.

قال الرازي (١٣٩٩): " أُسّ : الهمزة والسين يدل على الأصل، و الشيء الوطيد الثابت ، فالأس أصل البناء، وجمعه أساس ، ويقال للواحد أساس بقصر الألف ، والجمع أسس " (ج١، ص ١٤)، وأساس الشيء مبتدؤه الذي ينطلق منه، وأصله الذي يعود إليه وهي القواعد التي يقوم عليها البناء.

ومما يوافق ماتقدم قول الله تعالى: ﭽﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭼ (التوبة: ١٠٨)، قال الحسيني (١٩٩٠) " والتأسيس : وضع الأساس الأول للبناء والذي يقوم عليه ويرفع به " (ج١١،ص٣٤).

ويقصد الباحث بأسس الحجة العقلية : القواعد والمنطلقات العامة التي ينطلق منها الاحتجاج العقلي، ويستند إليها في إثبات الحقائق، أو دحض الباطل والشبهات.

وسيتطرق الباحث لجملة من الأسس التي تبنى عليها الحجة العقلية ، وتنطلق منها لتكون تلك الحجة أدعى للقبول، وأحرى بالاتباع ومن تلك الأسس:

أولاً : الإخلاص لله تعالى :

قال الرازي (١٤٢٠) : " خلص الشيء صار خالصاً ، وخلص إليه الشيء وصل، و خلاصة السمن ما خلص منه ، والإخلاص أيضاً في الطاعة ترك الرياء، واستخلصه لنفسه استخصه" (ج١،ص٩٤)، وقال الكفوي (١٤١٩) في الإخلاص : " تصفية السر و القول و العمل" (ص٦٤).

إن الإخلاص هو أن يقصد العبد بقوله وعمله، وسره وعلانيته وجه الله تعالى، متجرداً من حظوظ النفس شأنه في ذلك شأن سائر الأعمال ، قال تعالى: ﭽ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ (الزمر:

١١)، فإذا كانت الحجة العقلية مآلها لمنفعة للعبد، و استحضر المحاجُّ فيها النية الصالحة الخالصة كانت تلك عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى ، قال ابن كثير (١٤٢٠) في تفسيره لقول الله تعالى: ﭽﭽﭽﭽﭽ (ص: ٤٦): " قال مجاهد أي جعلناهم يعملون للآخرة ليس لهم همٌّ غيرها" (ج٧،ص ٧٦).

إن الحجاج العقلي إذا انصرف إلى هوى في النفس، أو طلب لأمر دنيوي كان وبالاً على صاحبه في الدنيا مع استحقاقه للعقوبة في الآخرة، كما في حديث كعب بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:" من طلب العلم ليجاري به العلماء، أو ليماري به السفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله النار" (الترمذي ، ١٣٩٥، ج٥، ٢٦٥٤، ص٣٢)، وإنما الذي ينبغي أن يكون الداعي والهدف هو بيان الحق بإخلاص لايشوبه هوى.

إن الإخلاص هو الانطلاقة الأولى في أي عمل يرجى نفعه في الدنيا والآخرة ، وإذا علم العبد أنه لن يؤثر في أحد بحجة عقلية ولا غيرها من أساليب التأثير في أي مجال من المجالات إلا بتوفيق الله عز وجل وجب عليه أن يجعل الإخلاص لله تعالى هو منطلقه، ومرتكزه ، ويظهر هذا المعنى في قول الله عز وجل: ﭽﭽﭽﭽﭽ (الأنعام: ٨٣)، قال الرازي (١٤٢٠) في تفسيره لهذه الآية: "قوله : ﭽﭽ يدل على أن تلك الحجة إنما حصلت في عقل إبراهيم عليه السلام بإيتاء الله، و بإظهاره تلك الحجة في عقله، ويتأكد هذا أيضاً بقوله :ﭽﭽ فإن المراد أنه تعالى رفع درجات إبراهيم لسبب أنه تعالى آتاه تلك الحجة ، ولو كان حصول العلم بتلك الحجة إنما كان من قبل إبراهيم لا من قبل الله لكان إبراهيم عليه السلام هو الذي رفع درجات نفسه " (ج١٣، ص ٥٠).

إن الحجة العقلية ينبغي أن يرافقها الاخلاص لله عز وجل، وأن يكون القصد منها الهداية للآخرين ، وأن يكون الداعي للمحاجة هو إنقاذ الناس من شر أو غفلة ، وبخاصة إن كانت المحاجة على أمر يمس العقيدة فإنه بذلك قد يكون سبباً في الانقاذ من النار ، وهذا هدف سامٍ حرص عليه النبي صلى الله عليه و سلم كما ورد من حديث أنس رضي الله عنه أن غلاما من اليهود كان مرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده فقعد عند رأسه فقال له : أسلم ، فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه ، فقال له أبوه : أطع أبا القاسم ، فأسلم ، فقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار"(أبو داوود،١٤٣٠،ج٥، ٣٠٩٥ ، ص١٤).

ثانياً : قصد الحق :

إن من حكمة الله عز وجل أنه لم يجعل الناسَ كلَّهم على قلب واحد، و عقل واحد، بل جعلهم مشارب شتى، وسخّر بعضهم لبعض ، وفضل بعضهم على بعض في العلم ، فجعل منهم العالم والجاهل ، وكما فاضل سبحانه بين رسله عليهم الصلاة والسلام فقد فاضل– من باب أولى – بين من هم دونهم ، قال تعالى ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾ (البقرة: ٢٥٣) ، قال الشوكاني (١٤١٤) : " والمراد بتفضيل بعضهم على بعض ، أن الله سبحانه وتعالى جعل لبعضهم من مزايا الكمال فوق ما جعله للآخر ، فكان الأكثر مزايا فاضلاً، والآخر مفضولا " (ج١،ص٣٠٨).

ولما كان هذا التفاوت أمراً ربانياً استشكلت بعض الحقائق على فئام من الناس ، فانغلقت قلوبهم، وتقاصرت عقولهم عن فهم الحق والوصول إليه ، إما لجهل سائر إليهم، أو لهوى طاغٍ عليهم، ثم كان لابد من البيان لما استشكل على العقول إدراكُه بأسلوب عقلي يُقرّب الفكرة ويدلل عليها ، فاختص الله عز و جل لهذه المهمة من آتاه – سبحانه – حجة يستطيع من خلالها النفاذ إلى العقل، و الولوج إلى الفكر؛ ليكون قادراً على قمع الجهل، ودرء الشبهة، مصطحباً معه قوة الحجة، والأدلة العقلية الإقناعية، فإذا استطاع المُنبري لهذه المهمة الوصولَ لما يريده وجب عليه أن يكون هدفه الوصول إلى الحق، و الدلالة عليه؛ ليدرك – بإذن الله – الهدف الذي يرمي إليه من طلبٍ للحق ، واستمالة للقلب، والعقل ؛ تجعل قبول الحق عند الآخرين مرغوبا.

إن الحجة العقلية إذا اختلف الهدف المقصود منها ، ولم تصلح غايتها ، كان تأثيرها ضئيلا، ونفعها مقصورا ، ذلك أن المحاج هدفه هداية من يحاجه، وإيصاله إلى الحق ، ودلالته على الطريق المستقيم، فإن وصل إلى الحق فقد بلغ الغاية من الحجاج ، والواجب حينئذٍ الانقياد إلى الحق مع أيٍّ كان ، فإن ذلك من الإنصاف والعدل ، قال تعالى ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇ﷈﷉﷊﷋﷌﷍﷎﷏ﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾ (المائدة: ٨)، قال السعدي (١٤٢٠): " أي لا يحملنكم بغض قوم على أن لا تعدلوا كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط ، بل كما تشهدون لوليكم فأشهدوا عليه، وكما تشهدون على عدوكم فأشهدوا له، ولو كان كافراً أو مبتدعا ، فإنه يجب العدل فيه ، وقبول ما يأتي به من الحق ، لأنه حق لا لأنه قاله، ولا يرد الحق لأجل قوله فإن هذا ظلم للحق " (ص ٢٢٤).

إن الحق لا يُعرَف بالرجال، بل إن المتأكدَّ أن الرجالَ هم من يُعرَفون بالحق ، لأن الحق هو المهيمن وهو المتَّبَع ، ولقد كان اتِّباعُ الحق هو السائد عند علماء السلف – رحمهم الله – فمتى تبين لهم الحق انقادوا له، ولو كان من غيرهم ، قال البغدادي (١٤١٧): " فينبغي لمن لزمته الحجة

، ووضحت له الدلالة أن ينقاد لها، ويصير إلى موجباتها لأن المقصود من النظر والجدل طلب الحق "(ج٢، ص١١٢)، و الذي ينبغي أن يكون الحق هو المقصود بحيث إذا وصل إليه أي أحد سلم له الآخر برضىً و قناعة، و قد ورد عن الشافعي – رحمه الله– قوله " ما ناظرت أحداً قط إلا أحببت أن يوفق ويُسدد ويعان ، ويكون عليه رعاية من الله وحفظ، وما ناظرت أحداً إلا ولم أبال بيّن الله الحق على لساني أو لسانه "(أبو نعيم، ١٣٩٤، ج٩، ص١١٨)، فكان هذا ديدنهم، يدافعون عن الحق، ويستميتون في بيانه، فإذا ظهر كانوا له أتباعا، وله مناصرين، غير مبالين أكان بيانه منهم، أم كان من غيرهم.

و متى صير إلى الحق وأصبح واضحاً كان هو الأجدر بالاتباع ، والأحرى بالوقوف عنده ، وقد صدَّق الله تعالى قول بلقيس وأقرها عليه لأنها لم تقل إلا حقاً – رغم أنها كانت على الشرك– حين قالت: ﭽﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﭼ(النمل: ٣٤)، فقال الله تعالى : ﭽﯩﯪﭼ قال الحسيني (١٤١٢): " فقال الله عز وجل تحقيقا وتصديقاً لقولها وكذلك يفعلون " (ج١٠،ص٤١)، وهذه دعوة صريحة إلى التحلي بهذا الخلق العظيم ، والمبدأ التربوي المهم، والأدب الرباني الذي يدعو إليه القرآن الكريم ، ويثبته ربنا عز وجل .

إن الإنصاف هو أن يُقبَل الحقُّ ولو لم يُقبَل صاحبُه، وما قصة الشيطان مع أبي هريرة رضي الله عنه إلا دليل بيّن على أن للحق قوةً تجعله مقبولاً حتى ولو كان قائلُه عدوا ، وأي عداوة أشد من عداوة إبليس لبني آدم رغم ذلك فقد قال حقاً، فكان الجزاء هو قبول هذا الحق، حيث قال صلى الله عليه وسلم " أما إنه صدقك وهو كذوب " (البخاري، ١٤٢٢، ج٣، ص ١٠١).

ولا ريب أن الحق إذا قُبِلَ عقلاً وجب وزنه بميزان الشرع ، فإن وافق الحقُّ المثبتُ عقلاً النقلَ الصحيح أُخِذَ به ، وقُصِد إليه ، وإن خالف النقل لم يُلتفَت إليه ؛ لأن العقل والنقل لا تعارض بينهما البتة .

ثالثاً : العلم :

جعل الله عز وجل للعلم وأهله مكانة عالية ، ومنزلة عظيمة ، فقال سبحانه:ﭽﭑﭒﭓ ﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭼ (المجادلة:١١)، وبخاصة إذا اقترن هذا العلم بالعمل، و كان سبيلاً للإصلاح ، قال الشوكاني: (١٤١٤) " وفي هذه الآية فضيلة عظيمة للعلم وأهله ، وقد دل على فضله وفضلهم آيات قرآنية وأحاديث نبوية" (ج٥، ص٢٢٦).

وقد حث القرآن الكريم على العلم في مواطن شتى، ورفع من مكانته ، ومكانة من انتسب إليه، ويتبين اهتمام القرآن بالعلم، والدعوة إليه ، والترغيب فيه حين رغب الله عز وجل المؤمنين

بعدم النفير جميعاً لقتال العدو مع ما في ذلك من الأجر العظيم ، وأرشدهم إلى أن النفير في طلب العلم؛ ليتفقهوا في الدين، و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم عن طريق هذا العلم فيكون في ذلك تحصيل منافع أعم، قال تعالى چﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ چ (التوبة: ١٢٢). قال السعدي (١٤٢٠): " ثم نبّه على أن في إقامة المقيمين منهم وعدم خروجهم مصالح لو خرجوا لفاتتهم فقال ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم أي: ليتعلموا العلم الشرعي ، ويعلموا معانيه ، ويفقهوا أسراره ، وليعلموا غيرهم ، ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم ففي هذا فضيلة العلم ، وخصوصاً الفقه في الدين ، وأنه أهم الأمور ، وأن من تعلم علماً فعليه نشره وبثه في العباد ونصيحتهم فيه " (ص٣٥٥).

وقد وجه القرآن الكريم إلى الاستزادة من العلم، فقال سبحانه: چﭨ ﭩ ﭪ ﭫچ (طه: ١١٤)؛ لأن الإنسانَ لا يزال محتاجاً إلى العلم، فمهما بلغ من العلم فإنه لن يبلغ منتهاه، وما ذاك إلا لشرف العلم و أهله .

إن المستقرئَ لآيات القرآن الكريم يجد أن العلم صفة كمال يجعلها الله جل وعلا في كل من تولى أمراً من الأمور، ويدل على ذلك قول الله تعالى في إمارة طالوت: چﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯچ (البقرة: ٢٤٧)، فجعل سبحانه من الصفات التي تأهل بها طالوت إلى القيادة العلم، وكذلك في قصة يوسف عليه السلام عندما طلب أن يُولّى على خزائن الأرض كان العلم هو الرافد لطلبه مع الأمانة، قال تعالى: چﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾچ (يوسف: ٥٥).

وقد جعل الله تعالى العلم هبةً عظيمة ، ومنّةً جزيلة منه سبحانه وتعالى على عباده، ومن أخصهم عنده أنبياؤه عليهم السلام فقد قال في يوسف چﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨچ(يوسف:٢٢)، وقال عن لوط عليه السلام: چﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲچ (الأنبياء: ٧٤) ، وقال عن موسى عليه السلام: چﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚچ (القصص: ١٤)، وقال عن داود وسليمان عليهما السلام چﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦچ (النمل: ١٥)، وقال لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم: چﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ چ (النساء: ١١٣).

ويتجلى شرف العلم حتى في الحيوانات ، فقد فضّل الله تعالى الحيوان المعلم على غير المعلم، وذلك بأن جعل صيد المعلم مباحاً، وصيد غير المعلم محرماً ، قال تعالى چﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗچ(المائدة: ٤)، قال ابن القيم(١٤١٦): " من شرف العلم أنه لا يباح إلا صيد الكلب المعلم ، وأما الكلب الجاهل فلا يحل أكل صيده فدل على شرف العلم وفضله " (ج١، ص٢٣٦).

وقد جعل الله عز وجل من اتصف بالعلم مرجعا عند الفتن ، يستنار برأيهم ، ويسترشد بعلمهم ، وما ذاك إلا لمعرفتهم وقوة إدراكهم ، واستنباطهم للأحكام ، قال تعالى چڑ ڑ ڑ ک ک ک ک گ گ گ گ ڳ ڳ ڳ ڳ ں ڻ ڻ ڻ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ چ (النساء: ٨٣)، قال القرطبي (١٣٨٤): " أولوا الأمر و هم أهل العلم والفقه ، لعلمه الذين يستنبطونه منهم: أي يستخرجونه ، أي يعلموا ما ينبغي أن يُفشى منه وما ينبغي أن يكتم " (ج٥، ص٢٩١)، و لأجل ذلك كان العلم مطلباً مهماً في الحجة العقلية؛ لأنه ينبغي على من تسنَّم هذا الأمر أن يكون لديه إلمام بما ينبغي أن يقال ومالا ينبغي فليس كُل ما يعلم يمكن قوله.

إن الهدف الذي ينشده كلُّ طامع في الإرشاد والتوجيه هو الوصول إلى الحق ، و لما كان هذا الهدفُ منالاً عظيماً احتاج من يسلك مسلك الاحتجاج بالعقل إلى العلم الذي هو السلاح في ساح الاحتجاج، لذلك عاب الله عز وجل على من ولج باب الاحتجاج بغير علم فقال تعالى مخاطباً أهل الكتاب: چگگڳڳڳڳڱڱڱڱںںڻڻڻڻۀہہہھھےے چ (آل عمران: ٦٦) قال ابن كثير (١٤٢٠) : "هذا إنكار على من يحاج فيما لا علم له به " (ج٢، ص٥٨).

لقد نهى الله عز وجل عن القول بلا علم، ورتب على ذلك المحاسبة الأخروية فقال عز وجل: چئو ئۇ ئۇ ئۆ ئۆ ئۈ ئۈ ئې ئې ئى ئى ی ی ئج (الإسراء: ٣٦)، ففي الآية نهي عن القول بلا علم ، قال الزمخشري (١٤٠٧): " ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول أو فعل كمن يتبع مسلكاً لا يدري أنه يوصله إلى مقصده فهو ضال ، والمراد النهي عن أن يقول الرجل مالا يعلم ، وأن يعمل بما لا يعلم " (ج٢، ص٦٦٦).

رابعاً: التقبّل :

إن النفس البشرية مجبولة على حب الإحسان إليها أيا كان طريق ذلك الإحسان، وإن من الإحسان إلى هذه النفس هو الإصغاء لها، وتقبلها على طبيعتها، ويمكن الوقوف على معنى التقبل من خلال مايلي:

قال الحميري (١٤٢٠): " التقبل ، القبول "(ج٨، ص٥٣٦٢)، و قال الحدادي (١٤١٠): "التقبل : قبول الشيء على وجه يقتضي ثواباً كالهدية" (ج١، ص١٠٥). و قال الأصفهاني (١٤١٢): " التقبل هو الترقي في القبول " (ج١، ص٦٥٣).

ويرى الباحث أن التقبل هو: احتواء وقبول الطرف المخالف ، وتفهُّم ما لديه من آراء قبل الدخول في إقناعه من أجل الوصول إلى تصحيح، أو تغيير المفاهيم الخاطئة .

وليس شرطاً أن يحصل الإقناع أو الاقتناع، وإنما ذلك سبب قد يحصل بسببه الإقناع وقد لا يحصل ، وتقبل المخالف أيًّا كان حاله هو سبيل لإصلاحه ، أو دعوته إلى الحق وبيانه له ، والتقبل هو السبيل الأول لمعالجة الخطأ ، وإظهار الحق ، فمنه تفتح الآفاق لطرح الأفكار وتمييز حسنها من سيئها .

والتقبل أدب ربّاني احتوى عليه القرآن الكريم؛ ليكون منهجاً تربويا يتعامل به كل من يقرأه مع من خالفه، ولا سيما إن كانت الفكرة المراد تصحيحها مسلمة لدى الطرف الآخر ، فاحتاج من يحاجه إلى إقناعه بالعقل حين لم يقبل الاقتناع بغيره .

وقد ظهر التقبل جلياً في القرآن الكريم، ولو لم يكن ذلك صريحا ، ومما يدل على ذلك ما جرى بين الله تعالى وإبليس لعنه الله تعالى، فعندما عصى إبليس ربه، ولم يمتثل لأمره بالسجود لآدم عليه السلام واحتج بحجة عقلية فاسدة مفادها أنه أفضل من آدم ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ (الأعراف:١٢) وكيف للفاضل أن يسجد للمفضول و هو دونه ، فترك الله جل جلاله لإبليس الفرصة ، وفتح له باب التقبل ليبدي سبب عدم سجوده مع أنه سبحانه لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه ، ومع ذلك فلم ينله العقاب من الله عز وجل في حينها ، بل إن إبليس تمادى في غيه بأن طلب من الله تعالى أن ينظره ويمهله إلى يوم يبعثون فكان له ما أراد .

وظهر التقبل أيضاً في حوار الله عز وجل مع الملائكة الكرام عندما قال سبحانه: ﭽﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﹀ ﹁ ﹂ ﹃ ﹄ ﹅ ﹆ ﹇ ﹈ ﹉ ﹊ ﹋ ﹌ ﹍ ﹎ ﹏ ﹐ ﹑ ﹒ ﹓ ﹔ ﹕ ﹖ ﹗ ﹘ ﹙ ﹚ ﹛ ﹜ ﹝ ﹞ ﹟ ﹠ ﹡ ﹢ ﹣ ﹤ ﹥ ﹦ ﹧ ﹨ ﹩ ﹪ ﹫ ﹬ ﹭ ﹮ ﹯ ﹰ ﹱ ﹲ ﹳ ﹴ ﹵ ﹶ ﹷ ﹸ ﹹ ﹺ ﹻ ﹼ ﹽ ﹾ ﹿ ﺀ ﺁ ﺂ ﺃ ﺄ ﺅ ﺆ ﺇ ﺈ ﺉ ﺊ ﺋ ﺌ ﺍ ﺎ ﺏ ﺐ ﺑ ﺒ ﺓ ﺔ ﺕ ﺖ ﺗ ﺘ ﺙ ﺚ ﺛ ﺜ ﺝ ﺞ ﺟ ﺠ ﺡ ﺢ ﺣ ﺤ ﺥ ﺦ ﺧ ﺨ ﺩ ﺪ ﺫ ﺬ ﺭ ﺮ ﺯ ﺰ ﺱ ﺲ ﺳ ﺴ ﺵ ﺶ ﺷ ﺸ ﺹ ﺺ ﺻ ﺼ ﺽ ﺾ ﺿ ﻀ ﻁ ﻂ ﻃ ﻄ ﻅ ﻆ ﻇ ﻈ ﻉ ﻊ ﻋ ﻌ ﻍ ﻎ ﻏ ﻐ ﻑ ﻒ ﻓ ﻔ ﻕ ﻖ ﻗ ﻘ ﻙ ﻚ ﻛ ﻜ ﻝ ﻞ ﻟ ﻠ ﻡ ﻢ ﻣ ﻤ ﻥ ﻦ ﻧ ﻨ ﻩ ﻪ ﻫ ﻬ ﻭ ﻮ ﻯ ﻰ ﻱ ﻲ ﻳ ﻴ ﻵ ﻶ ﻷ ﻸ ﻹ ﻺ ﻻ ﻼ ﻽ ﻾ چ (البقرة : ٣٠) ، قال ابن كثير (١٤٢٠):" وقول الملائكة هذا ليس على وجه الاعتراض على الله، ولا على وجه الحسد لبني آدم ...، وإنما هو سؤال استعلام واستكشاف" (ج١،ص٢١٦)، ففي هذه الآية يعرض الله عز و جل أمره على ملائكته الكرام وهو – سبحانه – العليم الحكيم المدبر لكل أمر، ثم يرد الملائكة على ربهم بما عندهم من علم لا يدركون به حكمة الخالق، وعلمه – جل شأنه –، والملائكة الكرام هنا منزهون عن قول ذلك اعتراضا ، إنما قالوه طلباً لمعرفة الحكمة من ذلك ، فتقبل الله جل وعلا قولهم، و أجابهم إلى طلبهم، وأخبرهم بأن له في ذلك حكمة تنطوي تحت علمه سبحانه ، وإلا فالله جل وعلا كما قال عن نفسه: ﭽﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ (الأنبياء:٢٣) .أما الملائكة الكرام فقد حكى الله جل وعلا عنهم قوله:ﭽﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼ(الأنبياء:٢٦)، ثم بين أن من صفاتهم أنهم ﭽﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿ (الأنبياء:٢٧)، فهم لا يعصون الله جل وعلا طرفة عين وحاشاهم ذلك ،قال الثعالبي (١٤١٨): "لا يسبقونه بالقول عبارة عن حسن طاعتهم لامتثال الأمر" (ج٤،ص٨٣-٨٤).

وقد ظهر التقبل من الله جل جلاله في حواراته مع أنبيائه عليهم السلام ، فهذا نوح عليه السلام – تتملكه عاطفة الأبوة تجاه ابنه الذي لم يركب معه في السفينة وأدركه الغرق – يخاطب ربه جل وعلا فيقول : چئح ئم ئى ئي بج بح بخ بم بى بي تجچ(هود:٤٥). قال ابن كثير(١٤٢٠) :" هذا سؤال استعلام وكشف من نوح عليه السلام عن حال ولده الذي غرق، فقال رب إن ابني من أهلي أي : وقد وعدتني بنجاة أهلي، ووعدك الحق الذي لا يخلف، فكيف غرق وأنت أحكم الحاكمين ؟ قال يا نوح إنه ليس من أهلك أي : الذين وعدت إنجاءهم لأني إنما وعدتك بنجاة من آمن من أهلك " (ج٤، ص٣٢٥)، فتقبُّل الله جل وعلا لنوح عليه السلام جعله يطمئن، ويسلم لأمر الله تعالى، وإن كان كذلك من قبل عليه السلام .

وانتهج إبراهيم عليه السلام ذات النهج الذي تعلمه من ربه جل وعلا في تقبله إياه كما في قوله تعالى: چ ٱ ب ب ٻ ٻ پ پ پپ پ ڀ ڀڀ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄڄڄڄڃڃڃڃچچ (البقرة: ٢٦٠) ، فسأله الله عز وجل عن السبب وهو أعلم به ، وإبراهيم عليه السلام يعلم قدرة ربه جل وعلا ، والله جل وعلا يعلم إيمان إبراهيم عليه السلام ، قال بن عطية (١٤٢٢): " وقال الجمهور: إن إبراهيم لم يكن شاكاً في إحياء الله الموتى قط، وإنما طلب المعاينة" (ج١، ص٣٥٢).

لقد أجاب الله عز وجل إبراهيم عليه السلام على طلبه، وحقق له رغبته بأن أطلعه – جل وعلا – على مشهد محسوس باشره إبراهيم عليه السلام بنفسه، وما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن يسير على ذات الدرب في تقبله لقومه، فإنه عندما رآهم عاكفين على عبادة الأصنام سألهم: چ ه ه ھ ے ۓ ۓ ڭ چ (الأنبياء: ٥٢)، فلما أخبروه بخبرها لم يباشرهم بالوعظ والتذكير، بل بدأ بالنقاش معهم متقبلاً كلامهم ، ومفنداً حججهم ، ولو لم يتقبل منهم هذا الكلام لما أدركوا ما كانوا عليه من السفه، و الظلم لأنفسهم عندما قال الله عز وجل واصفا لحالهم: چڈڈڈڈژژچ (الأنبياء: ٦٤)، فإقرارهم بفساد ما هم عليه هو انتصار لحجة إبراهيم عليه السلام عليهم، والذي هيأ هذا الانتصار هو التقبل الذي احتواهم به عليه السلام ليبدوا ما عندهم من أفكار، و يطرحوا ما لديهم من حجج.

وهكذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم مع ذلك الشاب الذي جاءه يستأذنه في الزنا أي: في كبيرة من كبائر الذنوب ثم يجد هذا التقبل من النبي صلى الله عليه وسلم رغم شناعة مطلبه ، وفحش قوله، وفي حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فما كان منه إلا أن خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم ولا شيء أبغض إليه من الزنا ، ولو أنه نهره أو عنفه لما وصل إلى ما وصل

إليه من اقتناع عقلي بقبح طلبه ، فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه مه فقال:" ادنه " فدنا منه قريبا قال فجلس قال: " أتحبه لأمك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبه لابنتك ؟"قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أفتحبه لأختك ؟ "قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال أفتحبه لعمتك ؟ " قال :لا والله جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك ؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك, قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم " قال فوضع يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" (ابن حنبل،١٤٢١، ج٣٦، ٢٢٢١١ ، ص٥٤٥).

إن المتأمل في ردة فعل الصحابة رضوان الله عليهم و ردة فعل النبي صلى الله عليه وسلم يجد معنى التقبل تجسيداً في قول النبي صلى الله عليه وسلم " ادنه مني " ثم الانتقال إلى قول الراوي " فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء " كنتيجة شاهدة على أن التقبل سبب للتغيير الإيجابي في أي سلوك ، ولا سيما في المجال التربوي .

إن تقبل النبي صلى الله عليه وسلم سطع حتى مع ألد أعدائه كما ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمعت قريش للنبي – صلى الله عليه وسلم – يوما، فقالوا : انظروا أعلمكم بالسحر، والكهانة، والشعر، فليأت هذا الرجل الذي قد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا وعاب ديننا، فليكلمه ولينظر ما يرد عليه، قالوا: ما نعلم أحدا غير عتبة بن ربيعة، قالوا: أنت يا أبا الوليد، فأتاه عتبة، فقال: يا محمد، أنت خير أم عبد الله؟ فسكت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: أنت خير أم عبد المطلب؟ فسكت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: فإن كنت تزعم أن هؤلاء خير منك فقد عبدوا الآلهة التي عبت، وإن كنت تزعم أنك خير منهم، فتكلم حتى نسمع قولك، أما والله ما رأينا سخطة أشأم على قومك منك، فرقت جماعتنا، وشتتت أمرنا، وعبت ديننا، وفضحتنا في العرب حتى طار فيهم: أن في قريش ساحرا، وأن في قريش كاهنا، و الله ما ننتظر إلا مثل صيحة الحبلى، بأن يقوم بعضنا لبعض بالسيوف، حتى نتفانى أيها الرجل، إن كان إنما بك الحاجة، جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أغنى قريش رجلا، وإن كان إنما بك الباءة، فاختر أي نساء قريش فنزوجك عشرا، فقال له رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " أفرغت؟ ". قال: نعم. قال: فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – : " چٱٻٻٻٻپچ (فصلت: ١– ٢) ، " حتى بلغ: " چٹٹٹڤڤڤڤٹچ (فصلت: ١٣)، " فقال عتبة: حسبك حسبك، ما عندك غير هذا؟ قال: " لا "

فرجع إلى قريش، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: ما تركت شيئا أرى أنكم تكلمونه به إلا كلمته. قالوا: هل أجابك؟ قال: نعم. قال: والذي نصبها بنية، ما فهمت شيئا مما قال غير أنه قال:چ ڦ ڦڦڦڦچ قالوا: ويلك، يكلمك رجل بالعربية فلا تدري ما قال؟ ! قال: لا والله، ما فهمت شيئا مما قال غير ذكر الصاعقة" (الهيثمي، ١٤١٤، ج٦، ص١٩-٢٠).

فأبو الوليد كان يقدح في النبي صلى الله عليه وسلم قدحاً شديدا ، " والله ما رأينا أشأم منك على قومك ، فضحتنا ، فرقت جماعتنا " ، ورغم ذلك لم يبال النبي صلى الله عليه وسلم بما قاله أبو الوليد بل تقبله حتى أتم كلامه ، ثم زاد في إمعان ذلك التقبل بقوله صلى الله عليه وسلم " أفرغت " ليعطيه مساحة أوسع في تبيين موقفه والإدلاء بحجته ، ثم رد عليه النبي صلى الله عليه وسلم بكلام الله تعالى ، هكذا كان صلى الله عليه وسلم ، في تقبله لغيره ، احتواء للمشاعر، وتفهم للرأي، واستماع للكلام حتى ينتهي ، وإعطاء للفرصة حتى يبدي كل ما لديه في أسلوب تربوي فريد يهيئ المتلقي لقبول الحجة والانتفاع بها ، و الإقرار بصحتها حتى لو فاته الانتفاع بها .

خامساً : مراعاة حال المخاطب :

إن من الحكمة في الحجة العقلية أن يراعي المحاج فيها حال من يحاجه ، فلا يحاج العالم بما يحاج به الجاهل ، ولا الكبير بما يحاج به الصغير ، بل عليه إيصال الحق بما يكون قريباً من عقل محاجه ، وقد دل القرآن الكريم على مراعاة الفروق الفردية عند طرق باب الحجة العقلية حال مخاطبة الناس في مواطن كثيرة منه.

إن مما يدل على مراعاة حال المخاطب أن القرآن الكريم الذي خاطب الله تعالى به أمة محمد صلى الله عليه وسلم نزل بلغتهم وبما يناسب فهمهم، قال تعالى چڈڈڈ ڈڑچ (الزخرف: ٣)، قال الطبري (١٤٢٠): " إنا أنزلناه قرآنا عربيا بلسان العرب ، چڑچ يقول : معانيه وما فيه من مواعظ ، ولم ينزله بلسان العجم فيجعله أعجمياً فتقولوا نحن عرب وهذا كلام أعجمي لا نفقه معانيه" (ج٢١، ص٥٦٢).

إن إنزالَ القرآنِ عربياً هو مراعاة لما يدركُ المُنْزَلُ عليهم من الخطاب الرباني ؛ وذلك ليحصل لهم الانتفاع به، ويؤيد هذا المعنى قولُ الله عز وجل: چگگگگگگ ڳڳڱڱڱڱںںڻڻۀۀچ(إبراهيم:٤) قال الزمخشري (١٤٠٧) : " چگگڳڳچ أي: ليفقهوا عنه ما يدعوهم إليه فلا يكون لهم حجة على الله ، ولا يقولوا لم نفهم ما خوطبنا به "(ج٢، ص٥٣٩).

إن إرسال الرسل إلى الناس هدفه بيان الحق، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يخاطبوا أقوامهم بلسان يوافق ألسنتهم؛ ليكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة عليهم، فيهتدي من اهتدى عن بينة، ويضل من يضل عن بينة.

إن الحجة العقلية خطاب ينبغي أن يراعي فيه المحاج حال من يحاجه، وإن مما يدل على مراعاة الفروق الفردية للمخاطب، ومراعاة حاله عند الاحتجاج العقلي قول الله تعالى: ﴿ ﴾ (يونس: ٣٨) ، فالله جل وعلا عندما خاطب من لم يؤمنوا بالقرآن الكريم وظنوا أنه افتراء من عند النبي صلى الله عليه وسلم وأنه كلام بشر فخاطبهم الله تعالى و جابههم بحجة عقلية دامغة، غير أنها تناسب حالهم فقال إن كان هذا كلام بشر فأنتم بشر مثله فأتوا بكلام مثل هذا الكلام في أسلوب عقلي ظاهره المحاولة، وباطنه التعجيز.

وتتجلى الحكمة الربانية في مراعاة الفروق الفردية في حال المخاطبين في أنه عز وجل لم يطلب منهم شيئاً لا يوافق قدراتهم ، ولا يتناسب مع حالهم ، بل إنهم أهل فصاحة وبيان ، وأرباب بلاغة وقول، ولكن أنّى لهم ذلك؟

وكما تجلّت الحكمة في مراعاة الفروق الفردية في أحوال المخاطبين في القرآن الكريم فقد تجلت كذلك في السنة النبوية المطهرة ومن ذلك ما ورد في صحيح مسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قال مُرَّ على النبي صلى الله عليه وسلم بيهودي محمما مجلودا، فدعاهم صلى الله عليه وسلم، فقال: " هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" ، قالوا: نعم، فدعا رجلا من علمائهم، فقال: " أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم" قال: لا، ولولا أنك نشدتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا، فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم، والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه" ، فأمر به فرجم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ ﴾ (المائدة:٤١) ، يقول: ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم، فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه، وإن أفتاكم بالرجم فاحذروا، فأنزل الله تعالى ﴿ ﴾ (المائدة: ٤٤)، ﴿ ﴾ (المائدة: ٤٥)، ﴿ ﴾ (المائدة: ٤٧)، في الكفار كلها" (مسلم، د.ت، ج٣، ١٧٠٠، ص١٣٢٧)، ففي الآية مراعاة النبي صلى الله عليه وسلم

الفرق بين العالم و بين غيره، فخطابه صلى الله عليه وسلم للعالم لم يكن كخطابه للعامة ، فالنبي صلى الله عليه وسلم سأل العامة سؤالاً عاماً، وسأل العالم بالله؛ لعلمه صلى الله عليه وسلم أن العالم يردعه علمه عن الكذب ، وبخاصة أن علماء اليهود كانوا يعلمون صدق النبي صلى الله عليه وسلم وأنه حق ، أما العامة فإنهم لا يجدون حرجاً من الكذب وما ذاك إلا لجهلهم ، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان حكيما في سؤاله ، لعلمه بحال من يخاطب، وأنهم ليسوا في الإدراك سواء .

أما الحجة العقلية فقد أمرَّها النبي صلى الله عليه وسلم ممرّ مراعاة الفروق الفردية، فهو في الخطاب العقلي يخاطب كلاً بحسب حاله، ومن ذلك ما ورد عند البخاري (١٤٢٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ولد لي غلام أسود ، فقال : " هل لك من إبل" قال : نعم ، قال :" ما ألوانها ؟" قال : حمر، قال: "هل فيها من أورق ؟" قال : نعم ، قال : " فأنّى ذلك ؟" قال : لعله نزعه عرق ، قال: " فلعل ابنك هذا نزعه عرق" (ج٨، ص١٧٣).

فالنبي صلى الله عليه وسلم عندما أتاه ذلك الأعرابي يسأله – وهو الذي تربى في الصحراء، حيث مجاورة الإبل – خاطبه النبي صلى الله عليه وسلم بخطاب عقلي يناسب حاله ، و يقترب من بيئته ، فقرّب له الخطاب، و ربطه بما يعقله هذا الأعرابي الذي عاش قريباً من الإبل، يعرف طبائعها ، ويعايش واقعها ، وهنا كانت الحكمة تفئ على هذا النقاش بين النبي صلى الله عليه وسلم وذلك الأعرابي الذي لامس النبي صلى الله عليه وسلم واقعه فخاطبه قياساً عليه.

سادسا: التدرج

التدرج لغةً مأخوذ من : " درج : الدال والراء والجيم أصل واحد يدل على مضي الشيء، والمضيء في الشيء ، ومن ذلك قولهم درج الشيء إذا مضى لسبيله "(الرازي، ١٣٩٩،ج٢، ص٢٧٥)، وقال ابن منظور (١٤١٤): " يقال درّجت العليل تدريجاً إذا أطعمته شيئاً قليلا وذلك إذا نقه ، حتى يتدرج إلى غاية أكله كما كان كان قبل العلة " (ج٢، ص٢٦٧)، والمقصود من ذلك : أن يتم المضي في تقرير الأفكار شيئاً فشيئا ، وذلك أدعى للقبول .

إن مما ينبغي لمن أراد أن يقنع بحجته العقول، ويستميل بها القلوب أن يصطحب التدرج في خطابه، و يتبع سننه في مقاله، فالتدرج مسلك حكيم، و أسلوب تربوي قويم في إيصال الأفكار الإقناعية وقبول المخاطب للحق.

إن التدرج منهج متبع في القرآن الكريم يهدف إلى إيصال المراد ، وهذا هو الذي درج عليه القرآن الكريم في بعض آياته ومنها على سبيل المثال لا الحصر: قول الله تعالى: چپپپٻٻٻٻٱچ (الإسراء: ١٠٦)، قال القرطبي (١٣٨٤): "على مكث : أي تطاول في المدة شيئاً بعد شيء ، وقوله تعالى:چٱچ مبالغة وتأكيد بالمصدر للمعنى المتقدم أي أنزلناه نجما بعد نجم، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا " (ج١٠، ص٣٤٠).

فإذا كان التدرج حاصلا حتى في كلام الله تعالى المعجز ، الذي يتقاصر أمامه البيان، و تتقازم أمامه البلاغة ، من وضوح، وسلاسة في إيصال المطلوب، وكمال في السياق ، فكيف بحال من يدعو وهو متلبس بالنقص، متسربل بالفهاهة، فالتدرج بحقه أولى لتحصيل المطلوب ، ونيل المراد.

لقد جعل الله عز وجل التدرجَ حتى في الفرائض التي هي سبب تحصيل كل خير ، وبها يستقيم الدين، وتكمل الاستقامة، ومن تلك الفرائض فريضة الصلاة، فإنها مرت بمراحل متعددة حتى استقرت على فرضيتها التي هي عليها، قال تعالى چڑڑڑکک ککگگگگڳچ (غافر: ٥٥) .قال القرطبي (١٣٨٤): "وقيل : هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس ، ركعتان غدوة وركعتان عشية " (ج١٥، ص٣٢٤).

إن هذه المرحلة كانت أولى مراحل فرضية الصلاة بأن جعلها الله مرتين في اليوم والليلة في لطف إلهي متعدٍّ، فكانت تلك البداية الرحيمة حكمة ربانية عظيمة، و تدرج أخَّاذٌ مُلهِم هو أدعى لإقبال النفس على الصلاة ، وتأليفا لها عليها، حيث أن العهد فتق بها حديثا، حتى إذا استشعرت النفوس لذة الصلاة، وسكنت بها الجوارح، واطمأنت بها القلوب، قال الله تعالى:چہہھھےےۓۓڭڭۇۇۆچ (هود: ١١٤)، قال ابن كثير (١٤٢٠) : "وقد يحتمل أن تكون هذه الآية نزلت قبل فرض الصلوات الخمس ليلة الإسراء، فإنه إنما كان يجب من الصلاة صلاتان ، صلاة قبل طلوع الشمس، وصلاة قبل غروبها ، وفي أثناء الليل قيام عليه [أي: على النبي صلى الله عليه وسلم] وعلى الأمة ، ثم نسخ في حق الأمة "(ج٤، ص٣٥٥)،فكانت هذه مرحلة أخرى من التدرج في فرض الصلاة .

وقد تلا تلك المراحل اكتمال التشريع، والذي أوجب الله تعالى فيه الصلوات الخمس ، ويتضح هذا المعنى في قول الله تعالى:چڤڤڦڦڄڄڄڄچچچچچ(لإسراء:٧٨) قال ابن الجوزي (١٤٢٢) : " فيكون المعنى أقم الصلاة من وقت زوال الشمس إلى غسق الليل، فيدخل فيها

الأولى و العصر ، وصلاتا غسق الليل ، وهما العشاءان، ثم قال (ﭽﭽ) فهذه خمس صلوات" (ج٣، ص٤٦).

إن هذا التدرج المنطقي في فرض الصلاة جعلها مقبولة لدى قوم لم يكونوا يؤدونها من قبل ، فلما تشربتها نفوسهم ، وذاقوا حلاوة المناجاة من خلالها لم يكونوا يدعونها حتى في أحلك الظروف ، أداءً وإيمانا بحكمها، وشعوراً بلذتها، و بما تخلفه الصلاة من راحة وسكينة، و إنما كان هذا المآل كنتيجة منطقية أكيدة لمبدأ تربوي حكيم هو التدرج.

وكما حصل التدرج في الصلاة فقد نال ذلك معظم الفرائض والأحكام ، ويمكن ملاحظة ذلك في الصيام، ومن ثم في الزكاة، وفي تحريم الخمر، وغير ذلك .

وقد استلهم النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ فعمد إلى تربية الناس عليه، وتوجيههم إليه، سيما في فجر الإسلام ، فقد كان هذا منهجه صلى الله عليه وسلم في تبليغ هذا الدين العظيم حتى وصل إلى كافة الناس دينا تاما كاملاً كما في قوله تعالى ﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀ (المائدة: ٣)، وقد نزلت هذه الآية في يوم عرفة، يوم أن حج النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع، أي قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى ببضعة أشهر، في مسيرة كان قوامها ثلاثا وعشرين سنة من الدعوة، و لو أراد الله إيصال بلاغها لأوصله بكن فيكون، و لكنه التدرج المستحب الذي يفضي بصاحبه إلى التسليم بما يُدعى له، وليكون ذلك عيناً يُقتفى من بعده الأثر.

أما في الحجة العقلية فيتضح الاهتمام بالتدرج فيما دار بين إبراهيم عليه السلام و والده من حجاج عقلي في قول الله تعالى : ﭽﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀ (مريم: ٤٢ – ٤٥).

لقد تدرج إبراهيم عليه السلام في استثارة عقل والده، فلم يأت بالوعيد مباشرة، و لم يبتدئه بأن من عبد غير الله فإن الله قد توعده بالعقاب والعذاب، بل إنه عليه السلام ابتدأ مع أبيه بتلطف؛ ليقرر له عجز ما يعبد من دون الله عن النفع، والضر، حتى إذا استفاق عقله لإدراك ذلك أخبره – في توقير وتنزيه لأبيه عن الجهل، و إنما ذلك عن عدم وصول ذلك العلم – أن ذلك لم يأت به من عند نفسه بل هو علم لم يؤته أبوه، ثم تدرج إلى أن عبادة الشيطان تنبئ بعصيان الرحمن، و كفى بذلك إثماً، ثم انتهى به إلى بيان مآل من عبد غير الله تعالى، كل ذلك في منهجية تربوية فريدة من حيث التدرج في الخطاب العقلي.

والذي يمكن استخلاصه أن الحجة العقلية قائمة على ركيزة ثابتة هي التدرج؛ لأن ذلك أحرى أن تصل بصاحبها إلى إقناع عقلٍ التبس عليه الأمر فيكون ذلك سبباً في اقتياد عقله إلى ما يصلحه.

و إذا عُلِمَ أن الحجة العقلية هي سبيل لتغيير المفاهيم الخاطئة عن طريق العقل فمعنى ذلك أنها بطريق أشمل سبيل إلى التغيير بعمومه، والذي يتطلب تدرجاً حتى يقبله الناس ، وقد يكون في التدرج تأخيراً لمصلحة ظاهرة لكنها ليست أنفع من المصلحة العامة التي قد تكون خافية ، والتي يراد بها التغيير الكلي إلى الأحسن، ولا أدل على هذا المعنى العام من النقاش الذي دار بين عمر بن عبدالعزيز و ابنه عبدالملك حين " قال عبد الملك بن عمر بن عبدالعزيز لأبيه: يا أبت مالك لا تنفذ في الأمور ، فوالله لا أبالي في الحق لو غلت بي وبك القدور، قال عمر: لا تعجل يا بني فإن الله تعالى ذم الخمر في القرآن مرتين وحرمهما في الثالثة، وأنا أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة فيدفعوه فتكون فتنة " (ابن عبد ربه، ١٤٠٤، ج١، ص٣٩)، والذي يمكن إدراكه في موقف عمر بن عبدالعزيز مع ابنه أن الأخطاء لا يمكن تصحيحها دفعة واحدة، وأن الحق لا يمكن تقريره وإقناع الناس به مرة واحدة ، وإنما الذي ينبغي هو السعي الحثيث نحو التصحيح، وبيان الحق بتدرج تربوي مقبول، وهذا هو الذي دعت إليه الحكمة.

سابعًا : موافقة الوحي :

جعل الله عز وجل القرآن الكريم و السنة المطهرة نورا وهداية، تستنير بهما الدروب، وتهتدي بهما القلوب، و لما كان بيان الحق وتجليته للناس طريق شاق احتاج الناس لمن يدلهم على الطريق ببصيرة نافذة, تستمد هذه البصيرة نورها من الوحي، فتسير حيث سار، تقتفي أثره، وتنهل من معينه، حيث لا عقل يعارضه، و لا هوى يخالفه.

إن مما درج عليه علماء السلف في مناهجهم في بيان الحق أنهم كانوا وقافين عند نصوص الوحي، لا يعارضونها بعقولهم، و لا يجاوزونها بأقوالهم، بل كان منهجهم هو التسليم التام للوحي المطهر سواء كان من القرآن الكريم أو صحيح السنة النبوية، فكانت هي الحكم الذي يقي- بإذن الله – من الانحدار في هوة المخالفة، والاجتهاد؛ امتثالا منهم لما جاء في هذه النصوص من ترغيب في الانقياد، وترهيب من المخالفة، دليلهم في ذلك الوحي المطهر، الذي حكم بالاتباع دون تردد.

إن الوحي الحكيم يرشد إلى أن قضاءه هو المتبع، و حكمه هو العدل ، وليس ذاك تعنتا، بل لأن الوحي إن أمر فبعلم وحكمة، وإن قضى فبعدل و رحمة، قال تعالى :چٱٻٻٻ ٻ پ پ پ

ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡﭢﭣﭤ (الأحـزاب: ٣٦)، قـال الطبـري (١٤٢٠): " يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أمرا أو نهيا (فقد ضل ضلالا مبينا) يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدي والرشاد " (ج٢٠، ص٢٧١)، ففي الآية الكريمة نفى الله جل وعلا عن من تحقق فيهم الإيمان أن يكون لهم الاختيار بعد قضاء الله تعالى، و قضاء رسوله صلى الله عليه وسلم، فقال سبحانه: ﭻﭼﭽﭾﭿ فكلمة (أمر) نكرة في عرف أهل اللغة تدل على العموم، بمعنى أن ذلك يشمل أي أمر سواء أكان ذلك الأمر دينيا أو دنيويا، ثم عقب سبحانه ذلك بالحكم بالضلال المبين الواضح على من خالف أمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، وكيف لمن أضله الله أن يهتدي؟

إن الأساس المتين الضارب في جذور المعرفة و اليقين أن كلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم هو الأصل الذي يبنى عليه أي فرع، وهو المنتهى الذي يبلغ إليه كل قصد، وما جاوزه كان مردودا على متجاوزه.

ولما كانت الحجة العقلية تتبوأ مكانة سامقة في بيان الحق الذي لم يهتد إليه الناس – جهلا – بالوحي كان لزاما على من سلك مسلكها أن يكون له مصدر يستند إليه عقله، يتوخى منه الصواب، ويستقي منه الحق، فلا يحكم بهواه، ولا يجاري مبتغاه، بل يعرض كل ما يورده على الوحي، فما وافقهما كان سيره على الطريق أبلجا، و ما خالفهما كان كده في الطريق أدلجا.

إن القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما النور في الحالكات، والملجأ في الملمات، قال تعالى : ﭽﭾﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤﮥﮦﮧﮨﮩ (المائدة:١٥– ١٦)، فكل هداية ترجى فمن الوحي، و كل ملمة تُتَّقى فمن الوحي.

إن من يطمح إلى جمع الناس على الحق بقوة التأثير العقلي، يجب عليه أن يمسك بحبل طرفه بيده، وطرفه الآخر مرتبط بالوحي، فإن ذلك تسويغ بليغ لقبول الحجة، ودعم لقوتها، إذ هي تستمد تلك القوة ، وذلك البيان من قوة الوحي وبيانه.

و قد سار الصحابة رضوان الله تعالى عليهم وفق هذا النهج؛ يدافعون عنه، و يحتكمون إليه في رضىً وقبول ، فلا رأي لهم بقول، و لا بعقل إذا حضر قول الله تعالى، وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، ولتبيين هذا الرضى يرد حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي النبي

صلى الله عليه وسلم و استخلف أبو بكر، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس، و قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله و نفسه إلا بحقه، وحسابه على الله" قال أبو بكر : و الله لأقاتلن من فرق بين الصلاة و الزكاة، فإن الزكاة حق المال، و الله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها قال عمر: " فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق" (البخاري، ١٤٢٢، ج٩، ص١٥).

إن مما يتضح في الحديث السابق كيف أن عمر رضي الله عنه احتج بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله"، فحجة عمر رضي الله عنه العقلية أن من قال لا إله إلا الله لا يُقَاتَل، ثم بين أن مستنده في ذلك هو الوحي المطهر، " فمن قال: لا إله إلا الله، فقد عصم مني ماله و نفسه إلا بحقه"، ثم كان الرد من أبي بكر رضي الله عنه بحجة عقلية اعتمد فيها على الاستدلال بالشبه بين الصلاة و الزكاة استنادا منه أيضا إلى الوحي، فقال أبو بكر: " والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة " ، قال القاري (١٤٢٢) :" أي المقرونتين في القرآن، أو الموجودتين في حديث آخر، حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وهذا أظهر في استدلال أبي بكر ؛ فإن الزكاة حق المال أي كما أن الصلاة حق النفس" (ج٤،ص١٢٧٧)، فتسليم عمر رضي الله عنه لم يكن إلا لعلمه أن أبا بكر لديه مستند من الوحي لذلك قال: " فوالله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح الله صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق" .

إن صحابة رسول الله صلى الله عليهم هم خير القرون، فهم أشد الناس التصاقا بالنبي صلى الله عليه وسلم، لذلك أدركوا أن كل خير هو في اتباع ما جاء به من الوحي، فكما أن الوحي صالح لمعادهم فهو صالح و مصلح لمعاشهم، فحكّموه واحتكموا إليه، و أزاحوا كل ما خالفه، فإن تعارض الوحي مع أقوالهم تنصلوا منها، و إن و افقها الوحي فرحوا بتلك الموافقة.

إن حياة السلف عليهم رضوان الله تعالى قد دلت على أن الوحي مقدم على كل ماهو سواه، زمما يدل على ذلك ما ورد عن عبد الله بن عباس: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، خرج إلى الشام، حتى إذا كان بسرغ [قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز] لقيه أمراء الأجناد، أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه، فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام. قال ابن عباس: فقال عمر: ادع لي المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم، وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشأم، فاختلفوا، فقال بعضهم: قد

خرجت لأمر، ولا نرى أن ترجع عنه، وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نرى أن تقدمهم على هذا الوباء، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعوا لي الأنصار، فدعوتهم فاستشارهم، فسلكوا سبيل المهاجرين، واختلفوا كاختلافهم، فقال: ارتفعوا عني، ثم قال: ادع لي من كان ها هنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوتهم، فلم يختلف منهم عليه رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولا تقدمهم على هذا الوباء، فنادى عمر في الناس: إني مصبح على ظهر فأصبحوا عليه. قال أبو عبيدة بن الجراح: أ فرارا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة؟ نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أرأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ قال: فجاء عبد الرحمن بن عوف – وكان متغيبا في بعض حاجته – فقال: إن عندي في هذا علما، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه» قال: فحمد الله عمر ثم انصرف" (البخاري، ١٤٢٢، ج٧، ص١٣٠).

وفي هذا الحديث يلاحظ احتجاج عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه بحجة عقلية تؤيد قوله في الرجوع عن أرض الطاعون، وتدفع قول أبي عبيدة رضي الله عنه في قوله: أفرارا من قدر الله ؟ فيقول رضي الله عنه : نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله، أ رأيت لو كان لك إبل هبطت واديا له عدوتان، إحداهما خصبة، والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فيضرب لأبي عبيدة رضي الله عنه مثلاً عقلياً؛ ليوصل له ما يريد، وفي أثناء هذا الحوار يأتي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ليقطع بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم كل قول، ويدفع به كل حجة تخالفه، فيخبرهما بسماعه لما يؤيد قول عمر رضي الله عنه من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فيحمد عمر رضي الله عنه ربه تعالى أن طابقت حجته الوحي، ووافق قوله قول نبيه صلى الله عليه وسلم، يتبع ذلك تسليم من أبي عبيدة رضي الله عنه، فلا تعليق، و لا رأي إن حضر الوحي.

إن هذه الأسس لتمثل للسائر في طريق الحجة العقلية مخزونا يفئ إليه، وثباتا يعتمد – بعد الله عز وجل– عليه؛ فهذه الأسس كالسلاح في الهيجاء، والماء في البيداء، لا يسير صاحب الحجة بغيرها؛ لئلا تزل به القدم في منتصف الطريق، فلا يدرك تقدما يصلح به ما فسد، ولا يسلم من زلل يهوي به في مستنقع الهوان؛ لذلك كان من الأهمية لمن امتطى صهوة الحجة العقلية الانطلاق من هذه الأسس ؛ لتكون الانطلاقة مبنية على أساس متين لايتزعزع.

التطبيقات التربوية للحجة العقلية في المؤسسات التعليمية

إن مما يتطلبه النجاح في تأسيس الأفكار ، وتقرير النظريات هو الانتقال بصياغتها من أفواه الأقلام قولا إلى تجسيدها إلى الواقع فعلا ، بحيث يكون لذلك الفعل الأثر البناء في تغيير مسارات نهجت نهج التقليد ، وسارت مع عجلات الزمن المنكفئة على التبعية حذو القذة بالقذة ، يسند ذلك التغيير المنهجية العلمية الصحيحة ، التي تقيم للإنسان قدره ، وتثبت له حريته الملجمة بلجام الوحي.

إن الأثر الإيجابي الذي يكون مطمحاً لتطبيق التغيير حتى يكون واقعا ملموسا دونه خرط القتاد مالم يكن السعي إليه حثيثا ، والجهد لأجله بثيثا ؛ لأن من السهولة التنظير إلى الأفكار، والدعوة إلى التغيير ولكن التطبيق الواقعي هو الذي يرتقي بالأفكار والنظريات سُلَّمَ التغيير المرجو الذي تبدو في ملامحه وعورة الطريق ، ومؤنة السير.

إن مما حبا الله عز وجل به الإنسان أن جعل له عقلا يرشده إلى إتباع الطريق القويم الذي لا يهلك معه متبع ، ولا يزل فيه سالك ، كما جعل سبحانه لهذا العقل إن أراد الوصول إلى مبتغاه طرقا يسلكها حتى تكون له فجاجا رحبة في التأثير ، وسمة مميزة في التغيير ، ومستنداً بليغاً في الحجة ، وقد تم – بفضل الله – فيما ما مضى من فصول في هذا البحث التطواف على بعض بساتين العقل اليانعة ، والتي تدفعه للتغيير ، وقد اقتطف الباحث من ذلك البستان المريع ثمرة واحدة هي الحجة العقلية ، وقد استمال الباحث وريقات من تلك الثمرة سيكون عليها مدار التطبيق في الواقع التربوي للمؤسسات التعليمية.

إن المقصود بالتطبيقات التربوية للحجة العقلية في المؤسسات التعليمية هو جعل الحجة العقلية مفهوماً قابلاً للتنفيذ مباشرة على أرض الواقع التربوي ؛ وذلك لتحقيق الأهداف النظرية لهذه الحجة .

وقبل البدء في هذه التطبيقات يرى الباحث ضرورة التعرف على المنطلقات والمبررات التي تبين أهمية هذه التطبيقات :

أولاً: المنطلقات :

إن المنطلقات التي سينطلق منها الباحث لتطبيق الحجة العقلية في المؤسسات التربوية ستكون وفقا لما تقرر من أسس الحجة العقلية وأساليبها التي يقودها الوحي المطهر، والتي استقاها الباحث من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

ثانياً: المبررات :

إن الناظر بعين البصيرة ليرى مدى التحول الواقعي للعالم بأسره في المجال المعرفي خصوصا، والمجالات المختلفة عموما من الاعتماد على رأس المال المالي إلى الاعتماد على رأس المال البشري الذي يعتمد في التعامل مع متغيرات العصر المتسارعة على العقل كقوة وطاقة بشرية هائلة ليس للتغيير الإيجابي – الذي يصبو إليه العالم أجمع والتربية بصفة خاصة – غنى عنه طرفة عين .

إن الذي لا ينكره منصف هو أن العالم التربوي يواجه تحديات متلاحقة ، يتبع بعضها بعضا، ولكل تحدٍ منها أساليب معينة تقف في وجهه وقفة الند للند؛ كي لا يستشري داؤه ، ويشع أواره ، ثم يصعب بعد ذلك دواؤه ، وإن من مجابهة التحديات المعاصرة– التي لم تعد تقيم للوحي قدره ولا للتنزيل قيمته – إعداد جيل يعتمد على المواجهة لتلك التحديات بالحجج العقلية التي تلائم التحديات وفي ذات الوقت لا تخالف الوحي الرباني المجيد ، بل تنحو نحو مساره بطرق عقلية إقناعية.

إن المجتمع التربوي لم يعد بحاجة إلى أن يدس رأسه في التراب إن عجز عن إيصال أفكاره ، وإثبات مفاهيمه التي أنكرها المعارضون ، ودفعها المغرضون بحجة عدم صلاحية تلك الأفكار في زمن العولمة المتجدد ، بل إن الذي ينبغي أن يكون عليه هذا المجتمع هو التشبث بمبادئه ، والتمسك بثوابته، ولكن بصياغتها صياغة تتلاءم والتجديد المعاصر الذي يشهده العالم المعرفي ، فما الذي يضير أن يكون بين يدي المربين نشء يُوجّه توجيها صحيحا لاستخدام العقل في سبيل التغيير، بحيث ينجو هذا التوجيه من البعد عن ملازمة الوحي، ويُنحَى به إلى تثبيت دعائه عن طريق الحجة العقلية الملازمة للوحي.

أما ما يتعلق بالتطبيقات فسيوردها الباحث حسب عناصر منظومة التعلم :

أولاً: أهداف المؤسسات التعليمية :

إن مما ينبغي على المؤسسات التعليمية في سبيل تحقيق أهدافها في مخرجاتها التعليمية هو القدرة على توظيف أسس وأساليب الحجة العقلية وذلك بالتركيز على الأهداف التالية:

١- أن تتحول العملية التعليمية من التعليم التقليدي الذي يعتمد على التلقين إلى التعلم عن طريق الحوار العقلي القائم على الممارسة والتطبيق ، وذلك بتنمية العقل وفق ضوابط وحدود معينة يستطيع معها المتعلم أن يستفيد من عقله ، ويوظفه توظيفا صحيحا ؛ ليكون هذا العقل أداة في تفعيل المؤثرات بطريقة أحرى للقبول ، وأدعى إلى الاقتناع والإقناع.

٢- خلق جيل مبدع واعٍ بما يدور حوله من تحديات، وكيفية التعامل معها من منظور عقلي لا يتعارض مع الأصول الإسلامية للتربية.

٣- تنمية مهارات التفكير المختلفة (الناقد ، الإبداعي ، المقارن ، الاستنباطي ، وغيرها) لدى المتعلمين منذ الصغر .

٤- توظيف مهارات حل المشكلات بطرق عقلية في كافة أمور الحياة بما يتفق والعلاقة بين العقل والوحي .

٥- تخريج جيل قادر على الدفاع عن الثوابت الدينية ، والمسلمات التربوية عن طريق الحجة العقلية الإقناعية ، والتي تبرهن على حقيقة الثوابت ، وتؤكد صحة المسلمات .

٦- تدعيم المقررات الدراسية بموضوعات تثبت أهمية الحجة العقلية في التغيير والتطوير التربوي الذي يطمح إليه القائمون على العملية التربوية.

التطبيقات التربوية لأسس الحجة العقلية في جانب المعلم :

إن مما لا شك فيه أن المعلم يعد ركيزة أساسية في التعليم ، حيث يعتبر هو الناقل للمعرفة ، وذلك استنادا إلى الخبرات التي حصل عليها من خلال مواقف التعلم المختلفة، سواءً كانت تلك الخبرات حصيلة الدراسة المتقدمة، أو نتاجاً لما تلقاه من دورات ونحوها ، ولكن التعليم المعاصر لم يعد يعتمد على المعلم الناقل للمعرفة فقط، بل اضطلع المعلم – تبعا للتطور العلمي – بمهمة أكبر من النقل المعرفي ألا وهي الشراكة المعرفية مع الطالب في سبيل إيصال المعرفة وذلك من خلال استخدام التقنية الحديثة ، أو استراتيجيات التعلم المختلفة.

إن التعليم لم يعد معتمدا على التلقين من المعلم ، واستقبال المعرفة من الطالب ، بحسب الطرق التقليدية المعتادة ، بل إنه يسعى لأن يهيئ المعلم للتطوير؛ ليكون قادراً على مجاراة عجلة التعليم المتسارعة وذلك بابتكار طرق وأساليب تنحو بالعملية التعليمية نحو الاستخدام الأمثل للعقل في سبيل إيصال الأفكار ، وتغيير المفاهيم.

إن الذي يجب على المعلم هو أن يكون قادراً على توظيف الحجة العقلية في مجال التربية والتعليم، وإن ذلك التوظيف لن يتم مالم يوجه الاهتمام إلى تهيئة المعلم على استعمال الحجة العقلية التي يستند فيها إلى زرع أسس الحجة العقلية في المعلم قبل مباشرة التعليم ، وهي كما يلي

١-الإخلاص :

أ-إن مما يجب أن يتجه إليه المسؤولون عن التربية والتعليم هو التدريب الصحيح القائم على الإخلاص ، وتكريس الجهود في أن يتحلى المعلم – قبل أن يدلف إلى ساحة التعليم –

بمقومات الإخلاص ، وإذا كان الإخلاص عمل لا يمكن لأحد أن يقيمه فإن ذلك يزيد الأمر أهمية في تخصيص برامج توعوية قائمة على النهل من القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة تحث على الإخلاص ، قبل أن يتملك المعلم زمام التعليم.

ب-إرشاد المعلم إلى سير الأنبياء عليهم السلام، والسلف الصالح رضوان الله عليهم في استحضار الإخلاص قبل محاولة إقناع الطرف الآخر بالحجة العقلية ، وذلك في سبيل إيصال المعلومة للطالب بأسلوب عقلي يعتمد على الحجة.

ج- أن يستحضر المعلم بناء على معرفة سابقة بأحوال المخلصين أن ما يصبو إليه من إقناع عقلي بالحجة إنما هو توفيق من الله تعالى ، وأن الإخلاص هو أحد أهم أسباب التوفيق ، فيزرع في هذا المعلم أن انعدام الإخلاص وعدم استحضاره عند الاحتجاج بالعقل قد يكون سبباً في عدم اقتناع المتعلم بما يقوله المعلم لأن الأمر أولاً وآخراً لله تعالى.

٢- العلم :

إن مما يجمع عليه العقلاء أن العلم أساس في استخدام الحجة العقلية في سبيل إيضاح الأفكار، إذ كيف لمن لا يملك أداة العلم أن يدافع عن فكرة صحيحة ، ويثبتها، أو أن يدفع فكرة خاطئة ويبطلها ، وحتى يحصل المعلم العلم الذي يستطيع به أن يحاج بالعقل كان لزاما عليه الأخذ بما يلي:

أ- التأمل في طرائق الحجة العقلية وأساليبها والتي أشار إليها الباحث في الفصل الثالث، وذلك ليتسنى له السير وفق طرق عملية واضحة .

ب- الإفادة من أساليب الحجة العقلية المقررة في القرآن الكريم، والسنة المطهرة، وتنزيلها وفق خطة محكمة على ما في المقررات الدراسية من موضوعات ، وصياغة تلك الموضوعات – من خلال التشرب العلمي لها – بطرق عقلية تساهم في إيصال المعرفة.

ج- الإلمام التام بالمادة العلمية التي يدرسها المعلم؛ وذلك ليكون له سبيل في دفع ما قد يواجه به من استفسارات بطرق عقلية صحيحة.

د- الاطلاع على ما كتبه المفكرون من استراتيجيات تعليمية تعتمد على التفكير العقلي في التعامل مع المتعلم.

هـ – السعي الحثيث من المعلم في سبيل إنتاج طرق جديدة للاحتجاج بالعقل استنادا إلى ما تزود به المعلم من المعارف المختلفة كالبحوث، والدراسات، والدورات المتعلقة بالحجة العقلية.

و – الحرص على حضور الدورات التي تنمي مهارات التفكير العقلي.

٣- التقبل :

إن تقبل المعلم للمتعلم هو من أقوى دعائم قبول المتعلم للحجة العقلية ، فقبل أن تسخر الجهود في إقناع المتعلمين بالحجة العقلية لابد أن يكون هناك احتواء من المعلم للمتعلم حتى يستطيع تغيير الأفكار، والمعتقدات الخاطئة، وإحلال الأفكار الصحيحة، والمعتقدات السليمة مكانها ، وحتى يستطيع المعلم تقبل المتعلم كان عليه الأخذ بما يلي من وجهة نظر الباحث :

١- توطين المعلم نفسه على تقبل المتعلم على طبيعته ، ولكي يستطيع المعلم أن يتبنى فكرة تقبل الآخرين فعليه أن يشعر المتعلم من أول لقاء به في العام الدراسي أن رأي هذا المتعلم يُحترم ، وفكرته تقبل ، وكي يتم الوقوف على التطبيق التربوي للتقبل يورد الباحث بعض النماذج والأمثلة التي تشعر المتعلم بتقبل المعلم له ومن ذلك :

٢- اللقاءات الأولى بالمتعلمين هي الركيزة الأساسية لزرع التقبل في نفوسهم، وتعود المعلم على التقبل هو سير في طريق احتواء العقول ، ففي اللقاءات الأولى يرى الباحث أن يقوم المعلم بتوزيع نموذج من الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة التي تجلى فيها التقبل في الحجة العقلية، وبعد أن توزع هذه النماذج يطلب من الطالب استخراج الفوائد من هذه الآيات والأحاديث ، ومن خلال إجابات الطلاب المختلفة يستطيع المعلم أن يُوصِل فكرة التقبل لدى الطلاب إما بملاحظة أن أحد الطلاب أشار إلى التقبل ولو بصيغة أخرى ، أو أنهم لم يشيروا إليه ، فإن أشار إليه أحد بدأ المعلم في تفصيله وبيانه ، وإن لم يشيروا إليه يخبرهم أنهم تركوا شيئاً مهما هو الانطلاقة الحقيقية للحجة العقلية التي تهدف إلى إقناع الطرف الآخر.

تطبيق التقبل :

بنيّ الغالي أمامك حديث عظيم من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم رواه أبو أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه مه فقال:" ادنه " فدنا منه قريبا قال فجلس قال: " أتحبه لأمك؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: " ولا الناس يحبونه لأمهاتهم قال أفتحبه لابنتك ؟"قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداءك، قال: "ولا الناس يحبونه لبناتهم قال أفتحبه لأختك ؟ "قال: لا والله جعلني الله فداءك قال: " ولا الناس يحبونه لأخواتهم قال أفتحبه لعمتك ؟ " قال :لا والله جعلني الله فداءك، قال: " ولا الناس يحبونه لعماتهم قال أفتحبه لخالتك ؟ " قال: لا والله جعلني الله فداءك, قال: "ولا الناس يحبونه لخالاتهم " قال فوضع يده عليه وقال: " اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه" ، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء" (بن حنبل،١٤٢١، ج٣٦، ص٥٤٥).

_لنتشارك أنا وأنت لاستخراج بعض الفوائد التربوية من خلال هذا الحديث :

ضع الفائدة التربوية أمام كل فقرة مما يلي :

س١/أ-يا رسول الله (ائذن لي بالزنا) :.....

ب- (فأقبل القوم عليه فزجروه)، هذه الفقرة يجيب عليها المعلم، وتكون إجابتها: (إنكار المنكر).

س٢/كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب ، اختر الإجابة الصحيحة :

أ/أخرجه من مجلسه.

ب/تقبله واحتواه حتى يبين له خطأه .

ج/ عنفه وضربه حتى يبين له خطأه.

س٣/لماذا زجر الصحابة رضوان الله عليهم ذلك الشاب ، وما الذي كان ينبغي عليهم تجاهه ؟

ج- (يجيب المعلم على الجزء الأول من السؤال) فيقول: (لأن الزنا منكر من كبائر الذنوب)، ويجيب الطالب على الجزء الثاني فيقول : الذي كان ينبغي عليهم ، أن يتعاملوا معه باللين والتقبل ، حتى يتبين له سبب طلبه ذلك .

س٤/ما النتيجة التي حصلت من خلال موقف النبي صلى الله عليه وسلم مع الشاب ؟ وما سبب تلك النتيجة ؟

أ. النتيجة

١. (تغير الاعتقاد الخاطئ عن المنكر).
٢. (بقاء الشاب على المنكر).
٣. تطور الخلاف بين النبي صلى الله عليه وسلم والشاب).

ب-بناء على ما سبق من نتيجة (ما سبب تلك النتيجة):

١. التقبل.
٢. العنف.
٣. الحياء.

وبعد أن يتم الانتهاء من هذا التطبيق يبدأ المعلم بإيراد أمثلة أخرى تهيئه وتهيئ طلابه لتقبل الآخرين ، فإذا زرع المعلم في تربية المتعلم تقبل الآخرين كان هو أحرى بالإفادة من ذلك .

٤- قصد الحق :

إن معرفة الهدف من أهم مسببات السير الصحيح في الطريق إلى مواجهة الآخرين عن طريق الحجة العقلية،ولا ريب أن الحق هو الهدف الذي يطمح إليه من يريد إقناع الآخرين بالحجة العقلية .

إن مما ينبغي على المعلم أن يكون عليه عند الاحتجاج بالعقل في مجاله التربوي أن يكون قاصدا للحق ، ومريداً لبيانه ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، فإن ذلك أدعى لأن يقتنع المتعلمون ولتنمية هذا الأساس في نفس المعلم يرى الباحث أن ذلك يتأتى بما يلي :

- أن تكون التعاميم الموجهة للمعلم من قبل مرجعه واضحة المعالم ، معلومة الأهداف ، رامية إلى البلوغ بالعملية التعليمية والتربوية إلى هدف يتضح فيه المقصود، و إرادة الحق به .
- أن تشرك الجهة المسؤولة عن المعلمِ المعلمَ في اتخاذ القرارات التي تصب في مصلحة العملية التربوية عموماً ، وذلك بحكم قربه من الميدان التربوي ، فإن المعلم إذا أُشرك في اتخاذ القرار تقوى في نفسه أن هذا القرار يرمي إلى تحقيق هدف تربوي هو الحق المقصود من اتخاذه .
- إقامة برامج تربوية للطلاب تقوم على دحض أي شبهة بحجة عقلية لا تتعارض مع الوحي ، ويكون من أهدافها الوصول للحق ، وتكون هذه البرامج إما فردية بين طالب وآخر ، أو مجموعة من الطلاب ومجموعة أخرى .
- أن يقيم المعلم درسه استنادا على أسلوب الحجة العقلية ، بحيث يكون ضمن أهداف الدرس الوصول للحق ، وانقياد الجميع له ، فإذا أوصل المعلم طلابه إلى معرفة الحق يتم التوقف عن مواصلة النقاش ، لأن هدفهم تم الوصول إليه.
- أن تتبنى وزارة التعليم الإشارة إلى الحجة العقلية في كتاب المعلم ، وذلك بإعطاء أمثلة تبين بعض أساليب الحجة العقلية في الدرس كي يسير المعلم وفق تلك المنهجية المعطاة .

٤- التدرج ومراعاة حال المخاطب :

إن من الحكمة التي لا يستغني عنها أحد – سيما من كان في مجال التربية – أن يراعي من تولى زمام التربية التدرج، ومراعاة حال المخاطبين، فإن لذلك شأناً عظيما لا يستغني عنه فرع من فروع التربية ، وإن هذين الأساسين ليزداد كيلهما المطلوب ، وقدرهما المرغوب في جانب المعلم ؛ لأنه هو من يباشر التعليم، ومواجهة المواقف ، وهذا يتطلب أن يتحلى المعلم بهذين الأساسين المتينين ، ولا سيما في التغيير أو الإقناع بالحجة العقلية ، ولكي يتحققان في المعلم يرى الباحث أن ذلك يتطلب ما يلي:

أ. أن تتبنى وزارة التعليم إرسال رسائل هادفة للمعلمين تحثهم فيها على التحلي بالحكمة التي تهيئه للتدرج، ومراعاة حال المخاطبين في أثناء العملية التربوية ، لا سيما إذا كان المعلم يحتاج إلى إيصال أهدافه – سواء التربوية أو التعليمية – بالحجة العقلية ؛ لأنه ليس كل أحد قد يفيد معه التغيير أو التطوير ، لأن العقول ليست على نهج واحد.

ب. الإفادة من الرسائل العلمية التي تهتم بجانبي التدرج، ومراعاة حال المخاطب، مع إمكانية تلخيصها وتعليقها في لوحات حائطية داخل غرف المعلمين.

ج. إقامة مشروع يهتم ببث أساليب التدرج، ومراعاة الفروق الفردية وغيرها ، وجعلها كقيم أسبوعية يسعى المعلم للإفادة منها عند الاحتجاج بالعقل.

د. تكليف المعلمين بعمل بحوث تربوية مصغرة يستنتج من خلالها أساليب التدرج، ومراعاة حال المخاطب التي يرى المعلم أن الأخذ بها في التعامل مع المتعلم سبيل مهم لإقناعه، أو لتغيير سلوكه عن طريق الحجة العقلية .

٥- موافقة الوحي :

إن الوحي هو المنهج الرباني الأمثل الذي يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وإن اتباع الوحي، والسير في طريقه لهو الحل الأكمل لأن يقتنع الناس بالحجج العقلية ، لأن الله عز وجل خلق هذه العقول وعلم ما يصلحها ويوجهها التوجيه السليم.

إن مما ينبغي أن يدركه المعلم أثناء مباشرته مهمته العظيمة هو الانسياق التام مع الوحي ، والانصياع لأوامره ونواهيه وحججه ، يستفيد منها في نفسه ، ويتعامل بها مع طلابه ، لا يثبت لهم شيئاً بالعقل إلا ودليله من الوحي حاضر ، وإن لم يكن له دليل من الوحي فلا أقل من أن لا يخالف الوحي قيد أنملة ، وإن مما ينبغي على المعلم حتى يسير وفق مراد الوحي ما يلي :

أن يستقر في نفس المعلم أن العقل لا يمكن أن يتعارض مع الوحي البتة ، وإن رأى تعارضاً جليا فليكن البحث مقتصرا على خلل العقل لدرء التعارض، أما الوحي فإنه منزه من الله تعالى ، ولاريب أن استقرار عدم التعارض في نفس المعلم له من التطبيقات ما يساعد على تثبيته وإقراره ومن ذلك :

- إقامة الندوات الحوارية الخاصة بالمعلمين ، والتي يستضاف فيها العلماء والراسخين القادرين على تفنيد شبه التعارض بين العقل والوحي.

- إثراء المكتبة المدرسية بالكتب التي تؤكد عدم التعارض بين العقل والوحي ، مثل كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية : درء تعارض العقل والنقل وغيره.
- بث مناظرات بعض العلماء المعاصرين كالشيخ أحمد ديدات وغيره على شاشات خاصة في غرف المعلمين ، وتكون تلك المناظرات قائمة على الإقناع والمناظرة عن طريق الحجة العقلية بحيث يكون ذلك في أوقات الفراغ لئلا يشغل المعلمين عن الواجب المناط بهم ، وكيف أن كل ما تؤول إليه تلك المناظرات لا يمكن أن يتعارض مع الوحي.
- أن تتولى وزارة التعليم تدريب بعض المعلمين على طريقة التعامل مع المتغيرات والمستجدات المعاصرة عن طريق الحجة الحجة العقلية التي تثبت صحة ما جاء به الوحي، وأنه لا يوجد تعارض بين العقل والوحي في تلك المستجدات.
- أن يكون للجامعات متطلب رئيسي في مقرراتها يدرّس العقيدة الصحيحة ، ويكون من ضمن مفردات ذلك المقرر إثبات عدم التعارض بين العقل والوحي.

ولا شك أن المعلم يضطلع بدور كبير تجاه زرع هذه الأسس في المتعلمين ؛ ليكون جيل هؤلاء المتعلمين قادراً فيما بعد على نشر ما تعلمه ، وتحقيقه في مجاله الذي ينتمي إليه سواء كان ذلك داخل أسوار التربية والتعليم الرسمية ، أو في شتى مجالات التربية غير الرسمية ، ابتداءً من الأسرة ومروراً بالمؤسسات المجتمعية التي ينتمي لها الفرد ، وحتى يحقق المعلم أسس الحجة العقلية في المتعلمين يرى الباحث ما يلي :

١.زرع الرقابة الذاتية في نفوس الطلاب ، وذلك بالتأكيد أن الإخلاص أساس قبول أي عمل ومن ذلك الحجة العقلية.

٢.إيراد نماذج من سير الأنبياء عليهم السلام ، والصالحين من العلماء والدعاة الذين كان لهم تأثير كبير في إقناع الناس بالعقل ، وكيف أن الإخلاص كان هو رفيقهم الدائم نحسبهم والله حسيبهم.

٣.تضمين المواد الدراسية كالتوحيد والتفسير والحديث بموضوعات تبين فضيلة الإخلاص، ويكون ذلك من خلال الآيات والأحاديث الدالة عليه.

٤.الإثبات العملي بأن العلم ركيزة مهمة في من يريد التأثير في الناس بالحجة العقلية ، ويمكن تطبيق ذلك عن طريق ما يلي :

أ- أن يقوم المعلم بتقسيم الطلاب إلى مجموعتين ، ويعطي المجموعة الأولى منهم أسئلة قائمة على الحجة العقلية ، ولكن هذه الأسئلة غير متضمنة للإجابات ، ويعطي المجموعة الأخرى

نفس الأسئلة ولكنها متضمنة للإجابات ، وكل طالب يأخذ هذه الأسئلة معه إلى البيت وفي اليوم التالي تقام مسابقة ، ويتم سؤال الطلاب نفس هذه الأسئلة ، حيث أن كل مجموعة من الطلاب قد قرأ فقط ما أُعطي ، وبالتأكيد ستجيب المجموعة التي تضمنت أسئلتها الإجابة، وبذات الوقت لن تجيب المجموعة الثانية ، وبعد ذلك يبين المعلم لطلابه أن العلم والتزود به أساس في كل من يريد إقامة الحجة العقلية.

ب- تحصين المتعلمين بالعلم الشرعي القائم على النهل من الوحي ، وحتى يتحقق هذا الهدف للمتعلم ينبغي على المسؤولين ما يلي :

- إجراء اختبارات تبين مستوى الطلاب الفكري والعقلي؛ ليتسنى للمسؤولين الاهتمام بالمتميزين في هذا المجال.
- إقامة الدورات المتخصصة في تنمية التفكير العقلي لفئة المتعلمين بعد إجراء الاختبارات عليهم.
- ربط المتعلمين الذين تم اختيارهم بالكتاب والسنة اللذينِ هما مصدر المعرفة الأول.
- التركيز على جانب الحجة العقلية ، وما يتعلق بالعقل من خلال الكتاب والسنة ، وذلك بإبراز الأسس والأساليب التي تدل المتعلم على كيفية الاحتجاج بالعقل .
- تدريب الطلاب على كيفية استخراج الحجة العقلية من القرآن والسنة ، ويكون ذلك كتقييم بحثي للطالب من قِبل المعلم ، ويكون تطبيق ذلك كما يلي :

& استخرج الآيات التي تم الاحتكام فيها إلى العقل في المناظرة من سورة الأنعام ؟

& بين موطن الشاهد من الآيات ؟

& ما هو الأسلوب الذي اتبعه الطرفان مع بعضهما لإقامة الحجة العقلية ؟

٥.تفعيل أساس قصد الحق في الحجة العقلية كواقع ملموس بين المتعلمين ، ويكون ذلك بما يلي :

أ-تفريغ مناظرات العلماء القائمة على الاحتجاج بالعقل على صيغة السؤال والجواب مع بيان الهدف المنشود منها ، والأسس التي اعتمدت عليها ، والأساليب المتبعة.

ب- إيراد طرف من أقوال العلماء في نشدهم للحق، وميلهم إليه حتى لو كان ذلك من غيرهم ، وإبراز ذلك على هيئة كتيبات جيبية.

التطبيقات التربوية لأساليب الحجة العقلية في جانب المعلم :

إن مما ينبغي على المعلم حتى يستطيع دفع العجلة التربوية أن يؤاخي بين الأساليب التي تعينه – بعد الله تعالى – على النقل المعرفي المتوازن والمشترك مع الطالب، والمقرر، والطريقة ، ولا غرو أن الحجة العقلية أسلوب تربوي لا غنى في مجال التربية عنه وحتى يكون المعلم متحليا

بهذا الأسلوب ، وقادراً على الإفادة والاستفادة منه رأى الباحث أنه ينبغي على المعلم حتى يكون كذلك ما يلي :

١- التطوير الذاتي من المعلم لنفسه وذلك بالتأمل والتدبر في القرآن الكريم والسنة النبوية التي امتلأت بأساليب الحجة العقلية ، والسعي في استحضار تلك الأساليب أثناء التعاطي مع العملية التربوية داخل حجرة الدراسة.

٢- جعل الحجة العقلية استراتيجية ضمن استراتيجيات التعلم ، وإقامة الدورات التدريبية للمعلمين في فن استخدام الحجة العقلية كأسلوب فعال من أساليب التربية في التعامل مع المتعلمين.

٣- تأهيل كوادر تربوية متخصصة في تنمية التفكير العقلي ، وإدراجها ضمن أعضاء هيئة التدريب التربوي ، بحيث يتم تدريب جميع المعلمين على استخدام الحجة العقلية في التربية ، ويكون ذلك التدريب داخل المدارس ، حتى يتسنى لجميع المعلمين الاستفادة منه.

٤- استقطاب المدربين المتخصصين في مجال التربية العقلية، والذين لهم باع طويل في تنمية المهارات العقلية لدى القائمين على التربية والتي تتواءم توجهاتهم مع التربية الإسلامية.

٥- تخصيص جزء من اختبار قياس للمعلمين لقياس مهارات التفكير العقلي لدى المعلم، مما يسهم في التطوير الذاتي للمعلمين في المجال العقلي.

٦- إضافة تخصص جامعي ضمن أقسام التربية يسمى بقسم التربية العقلية ، بحيث يتم التركيز فيه على تنمية العقل حتى يكون قادراً على تثبيت دعائم الحجة العقلية ، والاستفادة منها في المجال التربوي المعاصر ، والذي يعود ريعه المعرفي على الطالب حاليا والمعلم مستقبلا وبالتالي يعم نفعه الساحة التربوية أجمع .

التطبيقات التربوية للحجة العقلية في جانب المتعلم :

إن مما ينبغي أن يلتفت إليه المسؤولون عن التربية هو توجيه المعلم بوصلة التعلم على المتعلم إشراكاً وليس انفرادا ؛ كون المتعلم هو المقصود من العملية التربوية ، إذ لم يعد المتعلم مجرد مستلم للمعرفة ، بل ينبغي أن يكون مستنتجاً لها ، سابراً لأغوارها ، مميزاً مدركا لفحواها

إن التعليم الذي يغلف المعرفة ، ثم يدعو المتعلم إلى أخذها مغلفة كما هي لهو تعليم غير منتج ، ولا يمكن أن يحدث تغييراً في مجال التربية ؛ لأن الأفكار والمعارف أُخذت دون تمحيص ، ونقلت دون تجربة فكان ذلك سبباً في الجمود المعرفي رغم تعاقب الأجيال .

إن توجيه المتعلم إلى النقد المعرفي البناء القائم على الإفادة من مقدرات العقول أصبح مطلباً مُلحّاً في العملية التربوية ، وحتى يكون العقل قادراً على الإباحة بمكنوناته ، والاستفادة من إمكاناته في

سبيل التغيير والتطوير والذي يقوم جزء منه على الاحتجاج العقلي الموافق لأصول التربية الإسلامية كان على القائمين على التربية الاهتمام بتنمية ملكة الحجة العقلية لدى المتعلمين ، وحتى يتحقق ذلك للمتعلم رأى الباحث أن متطلبات تحققه تتمثل في ما يلي:

١- تربية المتعلم منذ بداية إدراكه على حب الله عز وجل وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ ليكون ذلك رافدا للمتعلم للإقبال على القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، واللذان يدعوان دعوات صريحة للتفكير العقلي ، ونبذ جموده .

٢- تربية المتعلم على حب العلم ، والإقبال على طلبه ؛ لأن العلم هو الزاد الحقيقي الذي يستطيع من خلاله المتعلم أن يكون قادراً على الإقناع العقلي سواءً بتغيير السلوك، أو الأفكار السلبية ، أو الثبات على المبادئ الإيجابية والدعوة إليها .

٣- تفعيل دور المكتبة المدرسية ، وانتقاء الكتب بعناية ، وإفراد جزء من المكتبة للكتب التي تدعو إلى إعمال العقل بما يتوافق مع حدوده ، ولا يتعارض مع أصول التربية الإسلامية.

٤- إدراج أسلوب الحجة العقلية القائمة على الوحي بطريقة تتناسب مع الفروقات الفردية للمتعلمين ، مع مراعاة الدقة والصدق في سياق الحجج العقلية.

٥- إيراد الحجة العقلية والدعوة إليها عن طريق الأساليب المشوقة للمتعلمين ، والتي تكون جاذبة لتفكيرهم ، وحائزة على اهتمامهم ، كأسلوب القصة ، وغيره .

٦- التأكيد على ضرورة تقبل المتعلم للآخرين ، وذلك من خلال بث الرسائل الإيجابية الداعية للقبول كاللوحات الحائطية وغيرها.

٧- إقامة المناظرات التي تعتمد على الحجة العقلية بين المتعلمين على شكل عمل مسرحي ، بحيث تكون محفوظة لدى المتعلم من قبل العمل بفترة وجيزة ، وذلك بالاستقاء من مناظرات العلماء لغيرهم.

٨- بناء مسابقات عامة بين المتعلمين تعتمد على الرد على بعض الشُبه من خلال الحجة العقلية ، بحيث يعطى المتعلم فرصة محددة للرد العقلي ، مع الحرص على مكافأة المتميزين ، وتحفيزهم، وتشجيعهم مع مراعاة أسس الحجة العقلية.

٩- عمل برنامج زمني يُراعى فيه التدرج في الوصول إلى مرحلة إمكانية الاحتجاج بالعقل ، ويسار فيه وفق خطط منهجية عملية مدروسة ، ووفق مراحل متعددة لا يسمح بالانتقال من مرحلة قبل إتقانها ، ويمكن أن يكون ذلك البرنامج كما يلي :

أ-يعطى المتعلم – الذي يراد تأهيله ليكون قادراً على التأثير بالحجة العقلية– دورة مركزة خلال إجازة نهاية العام ويتم خلال هذه الدورة السير وفق منهجية متدرجة تبدأ بإعطاء المتعلم كتيباً صغيرا يتضمن تقرير التوحيد والإخلاص في نفس المتعلم ، ويكون تدريسه من قبل العلماء المتخصصين في هذا المجال .

ب-حفظ بعض الآيات الكريمة ، والأحاديث الشريفة التي ورد فيها أسلوب الحجة العقلية كأسلوب تربوي مؤثر ، ومراجعتها ، ومعرفة تفسيرها.

ج– استخلاص أسس وأساليب الحجة العقلية من خلال الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة .

د – استنباط المبادئ التربوية التي تجلت في الآيات الكريمة، والأحاديث الشريفة؛ لتكون رافداً للمتعلم في السير في سبيل التأثير في الناس.

هـ– إجراء اختبارات نظرية لما تعلمه المتعلم خلال هذه الدورة.

و– التطبيق المباشر لما أتقنه المتعلم من فنون الحجة العقلية ، ويكون ذلك التطبيق على مرحلتين:

الأولى : مع المتخصصين في مجال الحجة العقلية ، وذلك ليتم التنبيه على الأخطاء وتداركها ، والتأكيد على الإيجابيات وغيرها.

الثانية: مع المتعلمين بعضهم البعض ؛ ليتم الوقوف على حقيقة الأهلية في طريق الاحتجاج العقلي.

١٠– إعطاء برنامج طويل المدى ، ويكون ذلك طوال العام الدراسي ، من خلال إجازة نهاية الأسبوع الدراسي ، بحيث تقسم مفردات الحجة العقلية من أسس وأساليب وغيرها على أسابيع العام الدراسي ، فيأخذ المتعلم في آخر كل أسبوع مفردة يتعلمها نظرياً ، وبعد مرور أربعة أسابيع يتم اختبار الطالب فيما أخذ خلال هذه المدة ، وفي الأسبوع الخامس يتم التطبيق العملي لما تعلمه المتعلم في خلال هذه الفترة ، فإذا تعلم المتعلم أسلوبا من أساليب الحجة العقلية كالقياس مثلا يتم إشراكه في مناظرة غير علنية ، ويعطى أفكاراً يُطلب منه إثباتها أو تغييرها عن طريق أسلوب القياس ، وبعد الانتهاء يُفعَل في جميع أسابيع العام الدراسي مثل ما فعل في الأسبوع الأول على أن يتم الجمع بين كل مفردة وسابقتها؛ ليتم الربط بينهما . وفي نهاية العام ستكون لدى المتعلم ملكة الاحتجاج بالعقل وفق منهجية صحيحة مفيدة بإذن الله .

١١– تخصيص جزء من برنامج الابتعاث الخارجي للتدريب على الحجة العقلية ، بشرط أن تكون موافقة للوحي ، ويمكن أن تكون من غير المسلمين ويتم فيما بعد تأطيرها وفق منهج الوحي ؛

وذلك لتكون لدى المبتعثين ملكة الحجة العقلية ليستطيعوا من خلالها التعامل العقلي مع غير المسلمين ، سيما أن الإسلام دين مقنع عقلا ، مما يسهم في الدعوة إلى الإسلام ، وفي ذات الوقت وقاية المبتعث من الانزلاق في الشبهات التي تكال ضد الإسلام والمسلمين.

التطبيقات التربوية للحجة العقلية في جانب المقررات :

إن المقرر الدراسي هو الأساس الذي تُستَقى منه المعلومات المراد إيصالها إلى المتعلم ، وكلما كانت المقررات تحوي كمّاً معرفياً مفيداً ومقنناً كلما كانت الإفادة منه أكبر وأنجع.

إن المقررات التي يُدرَس محتواها بعناية هي المقررات التي تكون سبباً في التأثير المعرفي والسلوكي ، إذ لا يمكن لمقرر منقول من بيئة معينة مثلا دون النظر إلى البيئة المنقول إليها أن يكون له تأثير ، أو تقبل .

إن الذي ينبغي في المقرر الدراسي أن يكون مدعماً بأساليب تواكب تطلعات العصر ، وتسير وفق متغيراته ، وإن من الأساليب التي ينبغي على القائمين على دراسة موضوعات المقررات الدراسية أن يدرجوها ضمن خطة هذه المقررات هو أسلوب الحجة العقلية ، ويرى الباحث أنه حتى يتوفر هذا الأسلوب في المقررات الدراسية ينبغي النظر إلى ما يلي :

١-أن تضم اللجنة التي أُوكِل إليها وضع موضوعات المقررات الدراسية متخصصين في مجال التفكير العقلي؛ وذلك ليكون للحجة العقلية خاصة وجميع العمليات العملية عامة حضوراً داخل المقررات الدراسية.

٢-أن تعرض الموضوعات التي ترد فيها الحجة العقلية على العماء الشرعيين؛ ليكون لها التوجيه الأمثل إلى موافقة الوحي.

٣-أن يتم انتقاء الموضوعات المدرجة في المقررات الدراسية بما يتناسب مع المرحلة الدراسية، وسن المتعلمين.

٤-أن يتم وضع هدف من أهداف المقرر الدراسي لكل مرحلة يبين مكانة العقل في التربية الإسلامية ، وكيف يمكن له أن يكون مؤثراً ، ويشار فيه إلى أن العقل الموافق للنقل حجة في التربية الإسلامية لها اعتبارها.

٥-أن تدعم الموضوعات الدراسية التي تشير إلى الحجة العقلية بما يدل عليها من نصوص الوحي التي استخدمت الحجة العقلية كأسلوب تربوي للتغيير والتأثير.

٦-أن لا يقتصر إيراد أسلوب الحجة العقلية في المقررات الدراسية فقط ، وإنما الذي ينبغي أن تعمم في جميع التخصصات كل تخصص بما يوافقه من الأساليب.

٧-أن يتم ربط الحجة العقلية داخل المقررات الدراسية بالواقع ، ليكون ذلك أحرى بالإتباع والاقتناع ؛ لأن الحجة العقلية إذا لامست الواقع الذي يعيشه المتعلم وأدت إلى نتائج واضحة التأثير كان للمقرر الدراسي أثره البين على المتعلم .

٨-أن تضاف مادة دراسية في مراحل التعليم المختلفة تسمى التفكير العقلي ، ويكون تركيزها على العمليات العقلية ، وتهدف إلى إكساب المتعلم المهارات العقلية في سن مبكرة ، ويكون من ضمن موضوعاتها الحجة العقلية ، وتكون هذه المادة متدرجة في الطرح من الأسهل إلى السهل ، بما يتناسب مع المراحل العمرية للتعليم .

٩-أن يتم تنويع العمليات التي تثير العقل داخل المقررات الدراسية ، وتحفزه للتفكير ، لأن ذلك يسهم في تنشيط المتعلمين على الاستخدام الأمثل لهذه العمليات العقلية داخل وخارج المقرر الدراسي .

١٠-أن تتم المزاوجة بين مستويات التفكير العقلي داخل المقرر الدراسي ، وذلك بالتدرج بين العمليات العقلية الأكثر سهولة إلى العمليات السهلة ؛ ليكون ذلك معيناً لاكتشاف الفروقات الفردية بين المتعلمين مما قد يسهم في وضع خطط استراتيجية لتنمية المواهب العقلية لكل فئة من المتعلمين على حدة .

١١- ينبغي أن يراعي القائمون على وضع موضوعات المقررات الزمن الفعلي لموضوع الدرس، و مدى استكماله لكافة الأهداف ، مما يسهم في اكتمال تفعيل تحقيق تلك الأهداف؛ لتكتمل صورتها لدى المتعلمين وبالتالي تكتمل الاستفادة منها.

١٢-أن يراعي المقرر الدراسي التلازم المنطقي بين الكم والكيف داخل موضوعاته ، فالحجة العقلية لا يمكن الوصول إلى تطبيقها إلا من خلال التدرج المنهجي ، الذي يراعي الموازنة بين الكم والكيف.

١٣-الاهتمام باللغة العربية الفصحى وبلاغتها معين عذب ، ورافد عزيز من روافد الاحتجاج بالعقل ، فكلما احتوى المقرر الدراسي على إيراد العمليات العقلية بلغة واضحة بليغة ، تصوغ المواقف الكبيرة بكلمات قصيرة جامعة كان ذلك أكمل في ورود منهل الحجة العقلية .

التطبيقات التربوية للحجة العقلية في جانب الأنشطة التعليمية:

إن الأنشطة التعليمية على اختلاف مجالاتها (صفية – لا صفية) تعد ركيزة مهمة داخل المنظومة التعليمية ، إذ أنها تسهم في اكتشاف المواهب ، وصقل المهارات ، وبناء الفكر ، ولا غرو

أن كل مؤسسة تعليمية تعطي للأنشطة الطلابية قدراً من الاهتمام ستكون لديها مخرجات تمثل طموحاً لكل مؤسسة ترغب في الرقي والتطور.

ولما كانت الأنشطة الطلابية لا تقل أهمية عن أي ركيزة من ركائز المنظومة التعليمية كان لابد أن يكون لها الأثر التربوي البالغ في تهذيب السلوك ، وتنمية الفكر، وإذا علم مدى فاعلية الأنشطة في العملية التربوية كان مما يلزم على المؤسسات التعليمية أن توليها الاهتمام الموازي لما تطمح له.

إن الحجة العقلية بصفتها أسلوباً تربوياً ناجعا في التوجيه والتربية ينبغي أن تحظى بنصيب من الأنشطة ، داخل المجتمع التربوي ، وحتى يتحقق إبراز الحجة العقلية في الأنشطة يرى الباحث أن من الأهمية بمكان الأخذ بما يلي:

١-أن تتبنى وحدة النشاط الطلابي بالمؤسسات التعليمية إدراج الحجة العقلية ضمن الأنشطة اللاصفية في هذه المؤسسات.

٢-إنشاء مراكز متخصصة في تنمية التفكير العقلي ، ليستطيع المتعلمون زيادة هذه المراكز والاستفادة مها.

٣-القيام بزيارات ميدانية إلى الأماكن الأثرية ، سواء مما بقي من آثار الأمم السالفة ، أو مما تقادم عهده ؛ ليكون ذلك معينا على الحجة العقلية في توجيه السلوك.

٤-أن يتولى رواد النشاط في المؤسسات التعليمية التنسيق للزيارات الرسمية التي تكون قائمة على النظر العقلي المتسق مع الحجة العقلية ، والتي يسمح فيها بالزيارة ، كبعض مآثر الحرمين الشريفين كبئر زمزم ، والكعبة المشرفة وغيرها.

٥-ترشيح الطلاب المتميزين لزيارة المراكز المتقدمة التي تهتم ببناء الفكر في خارج المملكة ، ويكون ذلك خلال الإجازات الرسمية .

٦-إشراك الطلاب في الرحلات البرية التي تقوم على النظر العقلي في ملكوت السماوات والأرض ، مما يقوي لديهم الاحتجاج العقلي.

٧-أن يكون هناك جماعة ضمن جماعات النشاط المختلفة تسمى جماعة التربية العقلية ، والتي يتم فيها تنمية التفكير العقلي للمشتركين ، وذلك عن طريق برامج معدة إعداداً محكما عن كل ما يتعلق بالعقل وتنميته.

٨-أن تستغل حصص النشاط في إقامة المسابقات بين جماعات النشاط المختلفة ، والتي تقوم على الاحتجاج بالعقل .

التطبيقات التربوية للحجة العقلية في جانب التقويم :

إن من الأدوار التي لا يمكن إغفالها في بيان مستويات التفكير لدى المتعلمين هو دور التقويم، حيث تبين أساليب التقويم الفروقات الفردية بين المتعلمين ، كما يمكن من خلالها اكتشاف الميول العلمي للمتعلم ، وبخاصة إذا صيغت هذه الأساليب واعتمد فيها على جميع الأهداف المعرفية والوجدانية.

إن التقويم يهدف إلى إعطاء المعلم صورة متكاملة عن مواطن القصور في المتعلمين ومن ثم السعي إلى معالجة ذلك القصور بالطرق التربوية الصحيحة، كما أن التقويم القائم على الأسس السليمة يعطي تصوراً حقيقياً عن ما ينبغي اتخاذه وتحسينه ليس على مستوى المتعلمين فقط بل يشمل ذلك المعلم والمقرر الدراسي وغيرها مما يسهم في التطوير المطلوب للرقي بعملية التعلم والتعليم .

إن أساليب التقويم ينبغي عليها أن تنمي جميع مستويات التفكير للمتعلمين حتى تؤتي أكلها بإذن الله ، وإن الحجة العقلية كونها جزء من التفكير العقلي ينبغي أن يكون لها نصيب ضمن أساليب التقويم ، وحتى يتحقق ذلك يرى الباحث ما يلي :

١-أن تكون هناك خطة منهجية لبناء التقويم ، يتم فيها جمع أطراف الأهداف التي يجب أن تتحقق من تدريس المواد الدراسية.

٢-أن يُعطَى المعلمون دورات تدريبية في القياس والتقويم؛ حتى يستطيعوا الإلمام بما يجب أن تحتوي عليه أساليب التقويم.

٣-أن تقسم الأسئلة النهائية إلى مجموعات حسب الأهداف ، فيكون جزء منها يهدف إلى قياس الحفظ، والآخر إلى قياس الفهم، ويكون من ضمنها ما يهدف إلى الاستدلال بالعقل على الإجابة ؛ ليقيس ذلك مستوى التفكير العقلي للمتعلم.

٤-أن يسهم التقويم في الرفع من مستوى المتعلمين وذلك بتكرار التقويم القائم على استخدام العمليات العقلية ؛ ليتم من خلال ذلك التقويم الوقوف على المستويات العقلية للمتعلمين ، فتُكثَّف العمليات العقلية للمتعلم المتأخر ، ويُحفَّز المتعلم المتقدم ويرتقى به إلى مستويات أعلى .

٥-أن تتم دراسة نتائج التقويم القائم على التفكير العقلي من قبل المتخصصين ؛ لمعرفة مواطن القصور لتتم معالجتها ، فقد يكون المقرر أو المعلم أو غيرهما هو سبب القصور ، فإذا تم تدارك ذلك أدى التقويم الهدف المنشود منه .

التطبيقات التربوية للحجة العقلية من خلال التفاعل البناء مع مؤسسات المجتمع:

إن مما مكن ملاحظته أن كل ما يحيط بالإنسان يكون له التأثير الواضح على تربيته ، لذلك يحسن بالمؤسسات المجتمعية التي لها علاقة بتربية النفس وتزكيتها أن يكون لها دور بارز في قيادة الكائن البشري المحيط بها إلى بلوغ المراتب العلية في حسن التربية ، التي ينتج عنها ذلك العضو الفاعل في المجتمع .

إن التلازم بين مؤسسات المجتمع والفرد ينبغي أن يبنى على أسس تستطيع مؤسسات المجتمع من خلالها أن تدفع بعجلة التنمية التربوية إلى مصاف التميز ، بما يكفل النماء العقلي والمعرفي للفرد ، والذي سيجني ثمرته المجتمع بأسره .

ولا شك أن مما ينبغي على المؤسسات المجتمعية المساهمة في بنائه– كعنصر مهم من عناصر التربية– هو تربية الفرد على الحجة العقلية الموصولة بالوحي ، والتي لها دور بارز في تنمية العقيدة الصحيحة في نفوس أفراد المجتمع ؛ لأن العقيدة سبب من أسباب صلاح الفرد ، والذي يشكل صلاحه صلاحاً للمجتمع بأسره .

إن المؤسسات المجتمعية يجب أن تكون لبنات صالحة في تنمية العقل؛ لكي يكون صالحاً للاحتجاج به، والذي هو سبيل للتأثير التربوي على الفرد ، سواء بتقويم السلوك أو تنميته وتطويره.

ولما كانت الحجة العقلية أسلوب تربوي لا يمكن الاستغناء عنه كان لا بد لمؤسسات المجتمع أن تكون شريكة للتربية في تنمية الحجة العقلية ، وسيتطرق الباحث لذكر ثلاث مؤسسات من مؤسسات المجتمع وما ينبغي عليها تجاه تفعيل أسلوب الحجة العقلية في أفرادها ، وهذه المؤسسات هي : الأسرة ، المسجد ، وسائل الإعلام.

أولاً : الأسرة :

إن الأسرة هي مورد التربية الأول ، والتي يكون لها الأثر الابتدائي في تشكيل تربية الفرد ، حيث أن الأسرة هي أول مؤثر في شخصية الفرد بحكم الوجود اللازم في بداية المرحلة العمرية ، فمن الأسرة يستقي الفرد جل معتقداته حتى ينتقل إلى بيئة أخرى قد تؤثر وقد لا تؤثر على المفاهيم والأفكار الأولية للفرد.

ويمكن للأسرة أن تنمي جانب الحجة العقلية لدى أفرادها من خلال ما يلي :

تمكين العقيدة الصحيحة في نفس الطفل ، لأن العقيدة الصحيحة لا يمكن أن تخالف العقل الذي هو أداة الاحتجاج.

١-تربية الطفل على حفظ القرآن الكريم، والسنة النبوية المطهرة ؛ ليكونان معينان له فيما بعد على الاحتجاج العقلي المثبت فيهما .

٢-تفسير بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تكون واضحة للطفل والتي تنمي العقيدة الصحيحة في نفس الطفل ، حتى تتكون لديه المعرفة الشاملة بالثوابت والمعتقدات.

٣-أن يكون هناك مجلس أسبوعي للأسرة في تفسير القرآن الكريم، وشرح الأحاديث النبوية ، وإسناد استنباط الفوائد للأطفال حتى تتكون لديهم ملكة الاستنباط.

٤-أن تُبيّن للطفل أهمية العقل ، وكيف أن القرآن الكريم دعا لإعماله ، مع بيان بعض الآيات الدالة على ذلك .

٥-أن ترسخ الثوابت – بعد أن تم بيانها – في نفس الطفل عن طريق العقل ، وذلك عن طريق الرحلات التي يتبين فيها عظيم صنع الله عز وجل ، فعندما يرى الطفل الجبل العظيم أو البحر الممتد ، ويبين له أن الله عز وجل هو خالقه ، فإن ذلك يسهم في أن تبنى عقلية الطفل على أن الله عز وجل هو أحق من يعبد، وأن غيره ممن هو عاجز عن خلق جزء يسير مما يراه الطفل إنما هو خلق من خلق الله المستحق للعبادة.

٦-إيراد بعض مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في الاحتجاج العقلي ، بطريقة مناسبة لسن هذا الطفل.

٧-أن يطلب من الطفل حفظ بعض الآيات الكريمة، الأحاديث الشريفة التي وردت فيها الحجة العقلية ، والتي سبق أن شرحت له ، مع شرحها من قبل الطفل بما يتناسب مع تفكيره.

٨-أن يتم تطبيق الحجة العقلية عن طريق استخدام الرسوم المتحركة التي تتوافق مع الضوابط الشرعية ، بحيث يتم عرضها للأطفال من خلال شاشات التلفزيون.

٩-تطبيق أساليب الحجة العقلية من خلال المواقف اليومية التي تمر بالطفل ، مع مراعاة طرق إيصالها للطفل حسب سنه .

ثانياً : المسجد :

للمسجد دور بارز في التوجيه التربوي ، لذلك فهو من المؤسسات المجتمعية التي لها الأثر الكبير في التنشئة ، فالمسجد الذي تتلى في جنباته آي الذكر الحكيم الداعية إلى الخير، والآمرة بالمعروف، والناهية عن المنكر لا بد أن يكون له تأثير واضح في تهذيب السلوك ، وتنمية العقل .

إن المسجد مدرسة كبرى للتعلم في شتى مناحي الحياة ، وإن الحجة العقلية لتتجلى حينما تتلى الآيات الكريمة ، وتذكر الأحاديث الشريفة سواء في الخطب أو الدروس ، وإن الدعوة إلى إعمال العقل ، وعدم إهماله لترى عيانا من خلال الآيات والأحاديث الداعية لذلك .

إن الأسس التي تبنى عليها الحجة العقلية لتجد انطلاقتها من خلال المسجد ، فالإخلاص والعلم وغيرها تشاهد بتطبيق عملي من خلال الصلاة مثلا ، فإذا زرعت هذه الأسس في أفراد المجتمع كانت ثوابت في كل عمل يعمله الفرد ، **وحتى يزرع أسلوب الحجة العقلية عن طريق المسجد يتضح ذلك من خلال ما يلي :**

١-تخصيص يوم من أيام التحفيظ التي تكون في المساجد لبيان ماهية الحجة العقلية، مفهوماً وأسساً وأساليب .

٢-تكليف الطلاب باستخراج الآيات التي تدل على أهمية إعمال العقل ، مع توفير المكافآت على ذلك .

٣-إقامة برنامج لحفظ آيات الحجة العقلية ، وبرنامج آخر لحفظ أحاديث الحجة العقلية.

٤-تقسيم الطلاب إلى مجموعات ، وتعطى كل مجموعة بضعة آيات من آيات الحجة العقلية ليتم البحث عن تفسيرها ، واستخراج الفوائد العقلية منها .

٥-إعطاء كل طالب آية من آيات الحجة العقلية وحديثا من أحاديثها يستنبط منها أسس الحجة العقلية وأساليبها ، ويكون ذلك بالاعتماد على التفاسير وشروح الأحاديث.

٦-أن يتم التطرق للحجة العقلية من خلال الدروس اليومية في المسجد عن طريق إمام المسجد.

٧-أن تدعم مكتبة المسجد بالكتب التي لديها اهتمام بالحجة العقلية ، بحيث يستطيع الطلاب زيارتها والاستفادة منها.

٨-أن يكون في المسجد شاشات تبث من خلالها معلومات عن الحجة العقلية ، حتى يكون لدى المجتمع إلمام بالحجة العقلية وتذكير بها .

٩-أن يتم كتابة الأحاديث المتعلقة بالحجة العقلية على لوحات حائطية بطريقة أسبوعية أو شهرية.

١٠-استضافة العلماء الذين لهم عناية بتنمية التفكير العقلي من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة.

١١-أن يكون لخطيب المسجد خطب تتكلم عن أهمية العقل ، وبيان حجته ، وبيان أهمية الحجة العقلية في الدعوة والتربية .

١٢-أن تكون في المسجد قاعة كبيرة يستضاف فيها من لديه شُبه عقلية ليتم إقناعه بالحجة العقلية.

١٣-إجراء الحوارات مع غير المسلمين في قاعة المسجد المخصصة لذلك ، ممن يظن أن العقل يخالف النقل ؛ ليتم إقناعه بالتلازم بين العقل والنقل .

١٤-أن يكون هناك مطويات توزع في المسجد تبين أهمية العقل في الاحتجاج ، وتبين مكانة الحجة العقلية في التربية الإسلامية.

ثالثاً : الإعلام :

أصبح الإعلام في العصر الحاضر أحد أبرز المؤثرات التي تؤثر في تكوين شخصية النشء ؛ وذلك لسهولة إيصال ما يريده عن طريق وسائله المتعددة التي أصبحت جزءاً من حياة الناس في هذا العصر.

إن الإعلام الذي شارك الناس في كل مرحلة، و في كل حين من حياتهم لا يمكن إغفال دوره في التأثير ، بل يكاد أثره يطغى على أثر الأسرة والمدرسة وغيرها من مؤسسات المجتمع.

وإذا كان الإعلام بمختلف وسائله له أثر واضح في التربية فإن ذلك الإعلام يستطيع أن يزرع في المجتمع شتى وسائل وأساليب التربية ، ومن ذلك الحجة العقلية ، فإن الإعلام يستطيع أن يكون مجتمعاً له اهتمام بتكوين العقل وصياغته وفق متطلبات العصر دون مخالفة أو تناقض مع الوحي ، **ويرى الباحث أن الإعلام حتى يستطيع أن يبين أهمية الحجة العقلية ينبغي عليه ما يلي** :

١-أن يسعى الإعلام إلى إقامة البرامج التي تبين أهمية الحجة العقلية، وأنها جزء من التربية الإسلامية الموافقة للوحي ؛ ليكون ذلك باعثاً للناس على الاطمئنان.

٢-إقامة البرامج التي تهدف إلى تنمية التفكير العقلي.

٣-اختيار الأوقات المناسبة لبث البرامج سواء الإذاعية أو التي عن طريق التلفاز، والتي تهدف إلى تنمية ملكة الاحتجاج بالعقل.

٤-بث المناظرات التي تعتمد على الحجة العقلية ، بعد الدعاية إليها ، وذلك بما يكون موافقاً للوحي ، وقائما على الإقناع العقلي المعتمد على أصول التربية الإسلامية.

٥-استضافة من له اهتمام بالحجة العقلية من علماء الإسلام في حوارات هادفة.

٦-السعي إلى نشر الحجة العقلية التي تهدف إلى الإقناع بالأصول والثوابت الإسلامية في الدول التي تجهل حقيقة الإسلام.

٧-أن يتم وضع الحجة العقلية على هيئة تطبيق من خلال الهاتف المحمول ، وذلك بوضع أيقونات للخطوط العريضة للحجة العقلية كالأسس والأساليب ، ويتم فتح كل أيقونة على حدة لتظهر تفصيلاتها ، وأمثلة من القرآن الكريم والسنة النبوية عليها .

٨-إدراج مقالات منوعة من خلال أعمدة الصحف المقروءة، والصحف الإلكترونية تتناول الحجة العقلية ، ويقوم على تلك المقالات المتخصصون في بناء الفكر العقلي الموافق للوحي.

٩-أن يتم التعاون البناء بين الباحثين والإعلام لتناول المستجدات في المجال العقلي بما في ذلك الحجة العقلية ، ليتم تكوين مادة إعلامية متخصصة عن كل ما من شأنه المشاركة في تنمية العقل.

١٠-أن يسعى الإعلام إلى توثيق دروس علماء التفسير والمحدثين التي يتم التنويه فيها على الحجة العقلية ؛ ليتم بثها لرسائل قصيرة أثناء البرامج المهمة التي يتابعها عامة الناس.

١١-أن يتم الاستفادة من التقنية الحديثة لمواقع وبرامج التواصل الاجتماعي في نشر الحجة العقلية كأسلوب تربوي مؤثر.

١٢-أن يتم إدخال الحجة العقلية ضمن البرامج القائمة على التمثيل، وذلك بالاستفادة من الحجج العقلية الثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية .

النتائج والتوصيات

أهم نتائج الدراسة:

١/ أن هناك تلازما وتكاملا بين الحجة العقلية والحجة بالشرع ينبثق من انقياد العقل لنصوص الوحي المطهر.

٢/ أن للحجة العقلية أسسا تبنى عليها، متى توفرت هذه الأسس كانت الحجة العقلية أقرب إلى تحقيق الهدف منها.

٣/ أن الحجة العقلية تتبع في إقناعها لأطراف الاحتجاج أساليب مقتبسة من القرآن الكريم والسنة المطهرة، وذلك لتصحيح الأفكار وتغيير السلوك.

٤/ أن الحجة العقلية أسلوب تربوي بالغ التأثير، يستمد قوته وتأثيره من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

٥/ أن الحجة العقلية في التربية الإسلامية مسلك منير في طلب الوصول للحق والإذعان له.

٤/ أن الإسلام دين كامل وشامل لكافة جوانب الشخصية الإنسانية، حيث أولى العقل مكانة سامية.

٥/ أن الإسلام حفظ للإنسان حريته مادام أنه قادر على الإقناع والاقتناع بالعقل، ولكن ذلك مشروط بعدم التعارض مع الوحي.

٦/ أن الحجة العقلية كما أنها أسلوب تربوي فهي أسلوب دعوي مهم لإقناع الناس بدين الإسلام.

٧/ أن الله عز وجل كما حفظ للوحي مكانته – وهو سبيل البلاغ عنه سبحانه – فقد حفظ صنوها للعقل ، وجعله حجة في القبول والرد.

٨/ أن الحجة العقلية طريق مهم للرد على الشبهات مادامت هذه الحجة لا تخالف النقل.

أهم توصيات الدراسة:

١- ضرورة مراعاة أسس الحجة العقلية في بناء المقررات، وإجراء الدراسات.

٢- أن توظف أساليب الحجة في عملية التعليم والتعلم بما يشمله ذلك من عناصر منظومة التعلم .

٣- الاهتمام بتنفيذ وتطبيق أسس وأساليب الحجة العقلية في المؤسسات التعليمية بدءا من رياض الطفال وانتهاء بالمراحل العليا الجامعية .

٤- أن يقترن العقل بالنقل إذا دعت الحاجة إلى الاحتجاج بالعقل؛ وذلك ليُعلم أن النقل نور يستضئ به العق في سيره.

وفي ضوء هذه التوصيات يقترح الباحث مايلي:

١- تخصيص بحوث علمية في كل أسلوب من أساليب الحجة العقلية وسبل تفعيلها في المجال التربوي.

٢- إنشاء مراكز ومعاهد خاصة بتنمية التفكير العقلي، وتكون بإشراف مباشر من مؤسسات المجتمع الرسمية.

٣- افتتاح أقسام جامعية متخصصة في التربية العقلية أسوة بالتربية الخاصة وغيرها.

٤- استقصاء ما في كتب السنن الأربعة من أساليب الحجة العقلية وكيفية تطبيقها في الأسرة والمدرسة.

٥- دراسة كتب بعض علماء السلف التي اهتمت بالجانب العقلي دراسة تربوية.

٦- تخصيص دراسة ميدانية لقياس مدى تطبيق أسلوب الحجة العقلية في المؤسسات التعليمية.

٧- تخصيص دراسة تربوية لطرق تفعيل التدريس بأسلوب الحجة العقلية.

٨- تخصيص دراسة تربوية عن كيفية تضمين الحجة العقلية في المناهج الدراسية.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبدالله بن محمد (د.ت). ***العقل وفضله***. مصر: مكتبة القرآن.
ابن أبي حاتم ، عبدالرحمن بن محمد (١٤١٩). ***تفسير القرآن العظيم*** ، (ط٣) . السعودية: مكتبة نزار مصطفى الباز .
ابن الأثير، المبارك بن محمد (١٣٩٩). ***النهاية في غريب الحديث والأثر***. بيروت: المكتبة العلمية.
ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (١٤١٨). ***ذم الهوى***. بيروت: دار الكتاب العربي.
ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي (١٤٢٢). ***زاد المسير في علم التفسير***. بيروت: دار الكتاب العربي.
ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (١٤١٦) . ***مفتاح دار السعادة*** . دار ابن عفان للنشر والتوزيع.
ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (١٤٠٨). ***الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة***. الرياض : دار العاصمة .
ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (١٤١٠) ***.تفسير القرآن الكريم*** . بيروت: دار مكتبة الهلال.
ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (١٤١١). ***إعلام الموقعين عن رب العالمين*** . بيروت: دار الكتب العلمية.
ابن القيم ، محمد بن أبي بكر (١٤١٦). ***مدارج السالكين*** . ط (٣) . بيروت : دار الكتاب العربي .
ابن القيم، محمد بن أبي بكر (د.ت). ***بدائع الفوائد***. بيروت: دار الكتاب العربي.
ابن المنذر ، أبو بكر محمد بن إبراهيم (١٤٢٣). ***كتاب تفسير القرآن*** . المدينة المنورة: دار المآثر .
ابن بطال ، علي بن خلف (١٤٢٣). ***شرح صحيح البخاري لابن بطال*** ، ط (٢)، مكتبة الرشد : الرياض.
ابن بطة، عبيد الله بن محمد (١٤١٨). ***الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة***. ط(٢).السعودية: دار الراية للنشر.
ابن تيمية ، أحمد بن عبد الحليم (١٤١٦). ***مجموع الفتاوى*** . المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم (١٤١١) . ***درء تعارض العقل والنقل*** .ط(٢) . المملكة العربية السعودية :جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن تيمية ، أحمد بن عبدالحليم (١٤١٩). ***اقتضاء الصراط المستقيم***. ط(٧). بيروت: دار عالم الكتب .

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم(١٤٢١) . ***التدمرية***. ط(٦). الرياض: مكتبة العبيكان.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٤٠٣). ***الاستقامة***. جامعة الإمام محمد بن سعود.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٤١٥). ***بغية المرتاد***. ط(٣). المدينة المنورة: مكتبة دار العلوم والحكم.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٤١٦). ***الإيمان***. ط(٥). الأردن : المكتب الإسلامي.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم (١٤١٦). ***مجموع الفتاوى***. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم(١٤٠٦). ***الصفدية*** .(ط٢). مصر: مكتبة بن تيمية.

ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم(١٤٢٦). ***بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية***.ط(١).المدينة المنورة:مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن جبار، سالم بن سعيد (١٤١٦).***الإقناع في التربية الإسلامية***.رسالة ماجستير.جامعة أم القرى.

ابن جزئ ، محمد بن أحمد ، (١٤١٦). ***التسهيل لعلوم التنزيل*** . بيروت: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم .

ابن حبان، محمد بن حبان (١٤١٤). ***صحيح بن حبان***. ط(٢). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن حجر ، أحمد بن علي (١٣٧٩). ***فتح الباري شرح صحيح البخاري*** . بيروت: دار المعرفة.

ابن حجر، أحمد بن علي (١٤١٩). ***التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير***. ط(١). دار الكتب العلمية.

ابن حنبل، أحمد بن محمد (١٤٢١). ***مسند الإمام أحمد بن حنبل***. مؤسسة الرسالة.

ابن حيان ، محمد بن يوسف (١٤٢٠). ***البحر المحيط في التفسير*** . بيروت: دار الفكر .

ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤). ***التحرير والتنوير*** . تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (١٩٨٤). ***التحرير والتنوير***. تونس: الدار التونسية للنشر.

ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله(١٤١٤). ***جامع بيان العلم وفضله***. دار بن الجوزي.

ابن عبدربه ، شهاب الدين أحمد بن محمد . (١٤٠٤). ***العقد الفريد***. دار الكتب العلمية: بيروت.

ابن عثيمين ، محمد بن صالح (١٤٢٦). ***شرح رياض الصالحين*** . الرياض: دار الوطن للنشر.

ابن عجيبة ، أحمد بن محمد (١٤١٩) . ***البحر المديد في تفسير القرآن المجيد*** . القاهرة: الدكتور حسن عباس زكي .

ابن عطية ، عبدالحق بن غالب (١٤٢٢). ***المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*** . بيروت : دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أحمد بن علي (١٤٠٦). ***مجمل اللغة***.ط(٢). بيروت: مؤسسة الرسالة.

ابن قدامة ، عبدا لله بن أحمد .(١٣٨٨)، ***المغني*** .مكتبة القاهرة.

ابن كثير ، إسماعيل عمر (١٤٢٠) . ***تفسير القرآن العظيم*** . ط (٢). دار طيبة للنشر والتوزيع.

ابن ماجه، محمد بن يزيد (١٤٣٠). ***سنن بن ماجه***. دار الرسالة العالمية.

ابن منظور ، محمد بن مكرم ، (١٤١٤). ***لسان العرب*** . (ط ٣). بيروت : دار صادر.

أبو السعود، محمد بن محمد (د.ت). ***إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم***. بيروت : دار إحياء التراث العربي.

أبو داود، سليمان بن الأشعث (د.ت). ***سنن أبي داود***. بيروت: المكتبة العصرية.

أبو داوود ، سليمان بن الأشعث (١٤٣٠) . ***سنن أبي داوود*** . دار الرسالة العالمية.

أبو زهرة، محمد بن أحمد (د.ت). ***زهرة التفاسير***. دار الفكر العربي.

أبو نعيم ، أحمد بن عبدالله (١٣٩٤) . ***حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*** . بيروت: دار الكتاب العربي.

آل فراج، مدحت بن الحسن(١٤٢٨). ***آثار حجج التوحيد في مؤاخذةالعبيد***. الرياض: دار الأخيار.

الألباني ، محمد ناصر الدين (١٤٠٨) . ***صحيح الجامع الصغير وزيادته*** . (ط٣). بيروت : المكتب الإسلامي .

الألباني، محمد ناصر الدين (١٤١٥). ***سلسلة الأحاديث الصحيحة والضعيفة وشيء من فقهها وفوائدها***. الرياض: مكتبة المعارف.

الألوسي، محمود بن عبدالله (١٤١٥). ***روح المعاني***. بيروت: دار الكتب العلمية.

الآمدي ، سيد الدين علي بن أبي (١٤٠٤) . ***الإحكام في أصول الأحكام*** . بيروت: المكتب الإسلامي .

أمير، جابر إدريس(١٤١٩). ***منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل***. الرياض: دار أضواء السلف.

الأندلسي ، محمد بن يوسف (١٤٢٠) . ***البحر المحيط في التفسير*** . بيروت: دار الفكر.

الإيجي ، محمد بن عبدالرحمن (١٤٢٤) . ***تفسير الإيجي*** . بيروت: دار الكتب العلمية .

البخاري ، محمد بن إسماعيل (١٤٢٢) . ***صحيح البخاري*** . دار طوق النجاة.

البغدادي ، أبوبكر أحمد بن علي (١٤١٧). ***الفقيه والمتفقه*** . دار ابن الجوزي.

البغوي ، الحسين بن مسعود (١٤٢٠) . ***معالم التنزيل في تفسير القرآن*** ، . بيروت: دار إحياء التراث العربي .

البغوي، الحسين بن مسعود (١٤٠٣). ***شرح السنة***، ط (٢). دمشق: المكتب الإسلامي.

البغوي، الحسين بن مسعود (١٤١٧). ***تفسير البغوي***. ط(٤). دار طيبة للنشر.

البقاعي ، إبراهيم بن عمر (د.ت) . ***نظم الورق في تناسب الآيات والسور*** . القاهرة: دار الكتاب الإسلامي.

البلخي ، مقاتل بن سليمان (١٤٢٤). ***تفسير مقاتل بن سليمان*** . بيروت: دار الكتب العلمية

البيضاوي، عبدالله بن عمر (١٤١٨). ***أنوار التنزيل وأسرار التاويل***. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

البيهقي، أحمد بن الحسين (١٤٢٣). ***شعب الإيمان***. الرياض: مكتبة الرشد.

الترمذي ، محمد بن عيسى (١٣٩٥). ***سنن الترمذي*** .ط(٢) . مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي.

الثعالبي ، عبدالرحمن بن محمد (١٤١٨). ***الجواهر الحسان في تفسير القرآن***. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الثعلبي ، أحمد بن محمد (١٤٢٢). ***الكشف والبيان عن تفسير القرآن*** . بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الجرجاني ، علي بن محمد (١٤٠٣) . ***التعريفات*** .بيروت: دار الكتب العلمية.
الجصاص، أحمد بن علي (١٤٠٥). ***أحكام القرآن***. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
الحدادي ، عبدالرؤوف بن تاج العارفين (١٤١٠). ***التوقيف على مهمات التعريف*** . القاهرة: عالم الكتب.
الحربي، إبراهيم بن إسحاق (١٤٠٥). ***غريب الحديث***. مكة المكرمة: جامعة أم القرى.
حسن، عثمان بن علي (١٤٣٤). ***منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة***. ط(٨).الرياض: مكتبة الرشد.
الحسيني ، محمد رشيد بن علي (١٩٩٠). ***تفسير المنار*** . الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الحسيني ، محمد صديق (١٤١٢) . ***فتح البيان في مقاصد القرآن*** . صيدا: المكتبة العصرية.
الحسيني ، محمد صديق خان بن حسن (١٤١٦). ***فتح البيان في مقاصد القرآن*** . بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر .
الحميري ، نشوان بن سعيد (١٤٢٠) . ***شمس العلوم ودواء كلم العرب من الكلوم***. بيروت: دار الفكر المعاصر.
الخازن ، علي بن محمد بن إبراهيم (١٤١٥). ***لباب التأويل في معاني التنزيل*** . بيروت: دار الكتب العلمية.
الخطيب ، عبدالكريم يونس (د.ت) ***التفسير القرآني للقرآن*** . القاهرة: دار الفكر العربي.
الخطيب البغدادي ، أحمد بن علي (١٤١٧)، ***الفقيه والمتفقه*** ، دار ابن الجوزي : السعودية.
الخلوتي ، إسماعيل حقي بن مصطفى (د.ت). ***روح البيان*** . بيروت: دار الفكر.
الدقيقي ، سليمان بن بنين (١٤٠٥). ***اتفاق المباني وافتراق المعاني*** . الأردن: دار عمار
الرازي ، أحمد بن فارس (١٣٩٩). ***معجم مقاييس اللغة*** . دار الفكر.
الرازي ، محمد بن أبي بكر(١٤٢٠). ***مختار الصحاح*** . (ط٥) . بيروت : المكتبة العصرية.
الرازي، محمد بن عمر (١٤٢٠) . ***مفاتيح الغيب*** . ط(٣) . بيروت : دار إحياء التراث العربي.

الراغب الأصفهاني ، الحسين بن محمد (١٤١٢) . ***المفردات في غريب القرآن*** . دمشق: دار القلم .

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد (١٩٨٣). ***تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين. لبنان***: دار مكتبة الحياة.

الزبيدي، محمد بن محمد (د.ت). ***تاج العروس من جواهر القاموس***. دار الهداية.

الزجاج ، إبراهيم بن السري (١٤٠٨). ***معاني القرآن وإعرابه***. بيروت: عالم الكتب.

الزرقاني ، محمد بن عبدالباقي (١٤٢٣). ***شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك*** . القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية .

الزمخشري ، محمود بن عمرو (١٤٠٧) . ***الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل*** . ط(٣). بيروت: دار الكتاب العربي .

الزمخشري، محمود بن عمرو(١٤١٩). ***أساس البلاغة***. بيروت: دار الكتب العلمية.

السعدي ، عبدالرحمن بن ناصر (١٤٢٠) . ***تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان***. مؤسسة الرسالة.

السفاريني ، أبو العون محي بن أحمد(١٤٠٢) . ***لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية*** . (ط٢) . دمشق: مؤسسة الخافقية ومكتبتها .

السمرقندي ، نصر بن محمد (١٤١٣). ***بحر العلوم***. بيروت: دار الكتب العلمية.

السمعاني ، منصور بن محمد (١٤١٨). ***تفسير القرآن*** . الرياض: دار الوطن.

السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (١٣٩٤). ***الإتقان في علوم القرآن*** . الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السيوطي ، عبدالرحمن بن أبي بكر (١٤٢٤). ***معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم*** . القاهرة: مكتبة الآداب.

الشاطبي ، إبراهيم بن موسى (١٤١٧). ***الموافقات*** . دار ابن عفان .

الشاطبي ، إبراهيم بن موسى (١٤١٢). ***الاعتصام***. السعودية: دار ابن عفان.

الشافعي ، محمد بن أحمد (١٢٨٥) . ***السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني ربنا الحكيم*** , القاهرة: مطبعة بولاق.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (١٤١٥). ***أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن***. بيروت: دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (د.ت). ***مذكرة في أصول الفقه***. المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم.

الشهاب، أحمد بن محمد (د.ت). ***عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي***. بيروت: دار صادر.

الشهري، عبدالرحمن سعد(١٤٣١). ***دعوى المعارض العقلي عند المتكلمين ونقد شيخ الإسلام بن تيمية لها***. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

الشوكاني ، محمد بن علي (١٤١٤) . ***فتح القدير*** . دمشق: دار ابن كثير.

الصديقي ، محمد علي بن محمد (١٤٢٥). ***دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين*** . ط(٤). بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع.

الطبري ، محمد بن جرير (١٤٢٠) . ***جامع البيان في تأويل القرآن*** . مؤسسة الرسالة.

الطبري ، محمد بن جرير (١٤٢٢) . ***جامع البيان عن تأويل القرآن*** . دار هجر للطباعة والنشر.

الطيبي، الحسين بن عبدالله (١٤٣٤). ***فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب***. دبي:جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم.

العاني، عبدالقادر بن ملا (١٣٨٢). ***بيان المعاني***. دمشق: مطبعة الترقي.

عبد السلام ، عز الدين بن عبد العزيز (١٤١٤). ***قواعد الأحكام في مصالح الأنام*** . القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

عبيدات ، عبدالكريم نوفان (١٤٢٠) ، ***الدلالة العقلية في القرآن ومكانتها في تقرير مسائل العقيدة*** . الأردن: دار النفائس.

العراقي، عبدالرحيم بن الحسين (د.ت)، ***طرح التثريب في شرح التقريب***. الطبعة المصرية القديمة.

عزت ، دروزة محمد (١٣٨٣) ***التفسير الحديث***. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية.

العسكري، الحسن بن عبدالله (١٤١٢). ***معجم الفروق اللغوية***. قم: مؤسسة النشر الإسلامي.

العلواني، طه جابر (١٤٠٤، رجب –شوال). تعليل الأحكام الشرعية واختلاف العلماء فيه وحقيقة موقف الحنابلة منه، وأثر ذلك في حجية القياس ، ***مجلة البحوث الإسلامية***، ١٠، ١٧٦-٢٠٨.

عمر ، أحمد مختار (١٤٢٩) . ***معجم اللغة العربية المعاصرة*** . عالم الكتب.

الغزالي ، محمد بن محمد (١٤٢٤). ***الإقتصاد في الإعتقاد*** . لبنان : دار الكتب العلمية.
الغزالي، محمد بن محمد (١٤٢٦). ***إحياء علوم الدين***. بيروت: دار المعرفة.
الفارابي، إسماعيل بن حماد (١٤٠٧). ***الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية***. ط(٤). بيروت : دار العلم للملايين.
الفراهيدي ، الخليل بن أحمد (د.ت) . ***كتاب العين*** . دار ومكتبة الهلال .
الفيتاوي ، محمود بن أحمد (د.ت). ***عمدة القارئ شرح صحيح البخاري*** . بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الفيروز آبادي ، محمد بن يعقوب (١٤٢٦) . ***القاموس المحيط*** .(ط٨) . بيروت: مؤسسة الرسالة.
القاري، علي بن سلطان (١٤٢٢). ***مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح***. بيروت: دار الفكر.
القاسمي ، محمد جمال الدين بن محمد (١٤١٨). ***محاسن التأويل***. بيروت: دار الكتب العلمية.
القرطبي ، محمد بن أحمد (١٣٨٤). ***تفسير القرطبي*** . ط (٢) . القاهرة: دار الكتب المصرية.
القرطبي ، محمد بن أحمد بن أبي بكر (١٤٢٣). ***الجامع لأحكام القرآن*** الرياض: دار عالم الكتب.
القسطلاني ، أحمد بن محمد (١٣٢٣). ***إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري*** . ط (٧) . مصر: المطبعة الكبرى الأميرية.
القشيري ، عبدالكريم بن هوازن (د.ت). ***لطائف الإشارات***. ط(٣). مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
قطب ، سيد (١٤١٢). ***في ظلال القرآن*** ط(١٧). بيروت: دار الشروق .
القيسي، مكي بن أبي طالب (١٤٢٩). ***الهداية إلى بلوغ النهاية***. مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية: جامعة الشارقة.
كردي ، زينب بن عبداللطيف (١٤٣٠) . ***بلاغة الاحتجاج العقلي في القرآن الكريم*** . رسالة ماجستير: جامعة الإمام.
الكفوي ، أيوب بن موسى (١٤١٩) . ***الكليات*** . بيروت : مؤسسة الرسالة.
الماوردي ، علي بن محمد ، (د.ت) ، ***النكت والعيون*** . بيروت: دار الكتب العلمية.

المباركفوري، محمد بن عبدالرحمن (د.ت) . ***تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي***. بيروت: دار الكتب العلمية.

المحاسبي، الحارث بن أسد (١٣٩١). ***العقل وفهم القرآن***. دار الفكر للنشر والتوزيع.

المحاسبي، الحارث بن أسد (١٣٩٨). ***ماهية العقل ومعناه واختلاف الناس فيه***. ط(٢). بيروت : دار الكندي.

محمود ،عبد الحليم (د.ت) . ***التوحيد الخالص والعقل*** . حلب: دار الكتب الحديثة.

المدني، مالك بن أنس (١٤٠٦). ***موطأ مالك***: بيروت: دار إحياء التراث العربي.

المراغي، أحمد بن مصطفى (١٣٦٥). ***تفسير المراغي***. مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

المرسي ، علي بن إسماعيل (١٤٢١). ***المحكم والمحيط الأعظم***. بيروت: دار الكتب العلمية.

المظهري ، محمد ثناء الله (١٤١٢). ***التفسير المظهري*** . الباكستان: مكتبة الرشدية.

المناوي ، محمد بن عبدالرؤوف (١٤١٠). ***التوقيف على مهمات التعاريف*** . بيروت: دار الفكر المعاصر.

الميداني ، عبدالرحمن بن حسن (١٤١٦) . ***البلاغة العربية*** . دمشق: دار القلم.

النخجواني، نعمة الله بن محمود(١٤١٩). ***الفواتح الالهية والمفاتح الغيبية***.مصر: دار ركابي.

النسائي، أحمد بن شعيب(١٤٠٦). ***السنن الصغرى***. ط(٢). حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية.

النسفي ، عبدالله بن أحمد (١٤١٩). ***مدارك التنزيل وحقائق التأويل*** . بيروت: دار الكلم الطيب .

النعماني ، عمر بن علي (١٤١٩). ***اللباب في علوم الكتاب*** . بيروت: دار الكتب العلمية.

نكري ، عبدالنبي بن عبد الرسول (١٤٢١). **جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**. بيروت: دار الكتب العلمية.

النووي ، يحيى بن شرف (١٣٩٢). ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج*** . ط (٢) . بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النووي، يحيى بن شرف (١٣٧٤). ***المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج***. ط (٢). بيروت: دار إحياء التراث العربي.

النيسابوري ، مسلم بن الحجاج (١٣٧٤) . ***صحيح مسلم*** . دار إحياء الكتب العربية .
النيسابوري، الحسن بن محمد (١٤١٦). ***غرائب القرآن ورغائب الفرقان***. بيروت: دار الكتب العلمية.
النيسابوري، محمود بن أبي الحسن (١٤١٥). ***إيجاز البيان عن معاني القرآن***. بيروت: دار الغرب الإسلامي.
النيسابوري، مسلم بن الحجاج (د.ت). ***صحيح مسلم***. بيروت: دار إحياء التراث العربي.
الهيثمي ، نور الدين علي بن أبي بكر (١٤١٤). ***مجمع الزوائد ومنبع الفوائد*** . القاهرة: مكتبة المقدسي.
الواحدي ، علي بن أحمد (١٤١٥). ***الوجيز في تفسير الكتاب العزيز*** . بيروت: دار القلم.
اليافعي، عفيف الدين عبدالله بن أسعد (١٤١٢). ***مرهم العلل المفصلة في الرد على أئمة المعتزلة***.